المشرق

شفاعة القديسين لحماية المؤمنين

نظر كتابي اثري للاب لويس شيخو اليسوعي

كتبنا قبل خمس سنوات (في المشرق ١٨ [١٩٢٠]: ٩٢٧—٩٣٤) فصلاً واسعاً في عيد جميع القديسين الواقع في غرة هذا الشهر وذكرنا هناك تاريخهُ وطقسياتهِ في الكنيسة وفوائدهُ الاجتماعية. وقد طلب الينا احد كهنة الروم الكاثوليك ان ننشر مقالاً خاصاً بشفاعة القديسين تفنيداً لما يبذره البروتستانت في الشوير وجهاتها من المزاعم الباطلة في هذا المعتقد الكاثوليكي

فتلبيةً لذلك الملتمس نخصص هذه النبذة لاثبات تلك الحقيقة الراهنة وبيان صحتها باقطع البراهين النقلية والتاريخية والاثرية بحيث لا يبقى ريب في عقل من يطلب الحق ولا يكابرهُ

تمهيد

انَّ الكنيسة الكاثوليكية في اقدم دساتير ايمانها الواقية الى عهد الرسل قد صرَّحت بمعتقدها لشفاعة القديسين. فانَّ في دستور الايمان المنسوب الى الرُّسل ذكر جهاراً اعتقاد المؤمنين «لشركة القديسين». ومن البديهي انَّ هذه شركة القديسين لا تقوم إلَّا بالواصلات الجارية بين المؤمنين الاحياء واولياء الله في السماء. وتلك المواصلات هي اكرام ابناء الكنيسة لاخوتهم القديسين الظافرين بالسعادة الابدية والاستشفاع بهم والحظوة بتلك الشفاعة من لدنهم عند الله

امَّا اساس هذا المعتقد فمبنيٌّ على انشاء السيد المسيح لكنيسته الواحدة الشاملة

جماعة المؤمنين سواء كانوا على الارض يسعون الى خلاص نفوسهم وهي الكنيسة المجاهدة ام فازوا باكليل المجد في دار البقاء وهي الكنيسة الظافرة او لا يزالون يوفون لعدل الله ما بقي عليهم من التكفير عن ذنوبهم المغفورة او عن زلاتهم غير المغفورة قبل دخولهم السماء وهي الكنيسة المتطهرة

فلما قام لوتارس وتبعته على الكنيسة وشقوا عصا الطاعة لرؤسائها لم يروا وجهاً للدفاع عن ضلالهم سوى ان ينكروا كنيسة المسيح المنظورة وما امتاز به نظامها الالهي من الخواص الجوهرية فكان من جملتها شركة القديسين ونفي الروابط التي بين الكنيسة المجاهدة والكنيسة الظافرة وبالتالي نفي شفاعة القديسين. ثم اخذوا يطلبون لتأييد قولهم نصوصاً من الكتاب المقدس اولوها على حسب اهوائهم الباطلة كما سترى

١ شفاعة القديسين في اسفار العهد العتيق

ان هذه القضية قد ثبتت بآيات متعددة لا تدع ريباً لمرتاب وكلها تصرح بقوة شفاعة القديسين الابرار عند الله سواء كانوا في قيد الحياة ام انتقلوا الى رحمته تعالى

١ واول ما يلوح ذلك في سفر التكوين (١٨ : ٢٢ — ٣٢) حيث ورد وقوف ابراهيم الخليل امام الرب ليشفع بسدوم ويكف عنها غضب الله فطلب الى الرب ان يعفو عنها لئلا يهلك البار مع الاثيم فتوسل اليه تعالى ان يصفح عن المدينة ان وُجد فيها خمسون باراً فوعده بالعفو عنها ان وجد فيها هذا العدد من الصديقين. ولم يزل ابرهيم يطلب الرحمة حتى ولو كان الابرار فيها اربعين بل عشرين بل عشرة والرب يعده بالرحمة والعفو الى ان سكت ابراهيم ولم يجسر ان ينزل عن هذا العدد. وبهذا ظهرت قوة شفاعة ابراهيم عند الله وهو لا يزال حياً يُرزق — ولاجل صلاة ابرهيم عافى الله أبيمالك واهله لما ضربهُ لأخذه سارة امرأة ابرهيم ظناً منهُ انها اختهُ (تك ٢٠ : ١٧)

٢ وبعد وفاة ابرهيم نرى ما لهُ من النفوذ عند الله اذ لاجلهِ يبارك ابنهُ اسحاق ويعدهُ بتكثير نسلهِ « من اجل عبدي ابراهيم » (تك ٢٦ : ٢٤)

٣ وكذلك الآباء ابرهيم واسحاق ويعقوب كثيراً ما يلتجئ موسى وبنو اسرائيل الى الله طالبين عونهُ بشفاعتهم. جاء ذلك في سفر الخروج (٣٢ : ١٣) حيث يتضرع موسى الى الله قائلاً : « اذكر ابرهيم واسحاق واسرائيل عبيدك الذين اقسمت

«أترى الله لا ينتقم لمختاريه الذين يصرخون اليه نهارًا وليلًا او يتأنّى في امرهم. اقول لكم انهُ ينتقم لهم سريعاً». ففي كلّ ذلك شواهد ساطعة على مفعول شفاعة القديسين وعلى الكرامة التي ينالونها عند الله

٧ وفي سائر اسفار العهد الجديد اخبار وآيات تثبت الحقيقة ذاتها. ففي سفر الاعمال (١٢: ٥) ان «الكنيسة كانت تصلّي الى الله لاجل بطرس بلا انقطاع». لمّا حبسهُ هيرودس اغريباس عازمًا على قتله فنجا من شرّه بشفاعة الكنيسة — وكذلك القديس بولس في سفره بحرًا الى رومية لكرامته وهبهُ الله انفس الساترين معهُ في زوبعة هائلة حدثت لهم (اعمال ٢٧: ٢٤). فالشفاعة في كل ذلك ظاهرة بكل جلائها فكيف يستطيع البروتستانت انكارها؟

٨ وما قولنا بآيات عديدة في رسائل القديس بولس يذكر فيها صلاتهُ لاجل المؤمنين ويلتمس هو منهم الصلاة كقولهُ في رسالته الى اهل رومية (١: ٩—١٠) «انّ الله ... شاهد لي باني لم ازل اذكركم في صلواتي» وفي رسالته الى اهل افسس (١: ١٦): «لا ازال ذاكرًا اياكم في صلواتي» ويطلب الصلاة لاجله (رومية ١٥: ٢٠): «اسألكم ايها الاخوة ... ان تجاهدوا معي في الصلوات الى الله من أجلي»

٩ ويصرّح القديس يعقوب في رسالته (٥: ١٦) بقوله: «صلّوا بعضكم لاجل بعض لكي تُبرأوا. ما اعظم قوّة صلاة البارّ الفعّالة»

١٠ وأعلمنا القديس يوحنّا الحبيب في سفر الرؤيا (٨: ٣—٥) انهُ «جاء ملاك ووقف عند المذبح ومعهُ مبخرة من ذهب فأعطي بخورًا كثيرًا ليقدّم صلوات القديسين كلّهم على مذبح الذهب الذي امام العرش فصعد دخان البخور من صلوات القديسين من يد الملاك امام الله». فمن لا يرى انّ الله تنعّم بالرضى رائحة ذلك البخور واستجاب صلوات قديسيه ورضي بشفاعتهم

٣ شهادات آباء الكنيسة الاوّلين في شفاعة القديسين

١ ورد في رسالة القديس اغناطيوس النوراني تلميذ الرسل الى اهل افسس (ع ٨): «اني بموتي ساكون ضحيّة تبرير لاجلكم وفداء لاجل كنيسة أفسس». فمن قوله يتّضح انهُ يعتبر استشهادهُ تكفيرًا عن آثامهم بما سينالهُ بكرامته عند الله

٢ ونقل اوسابيوس المؤرخ (١: ٣ ف ٣٢) كلاماً للقديس هيجيزبوس اوّل مؤرخ للكنيسة في القرن الثاني للميلاد ذكر فيه مَن استشهد من اقارب السيّد المسيح فقال عنهم: «انهم يتولّون رعية الكنيسة في العالم كلّه بصفة كونهم شهداء واقارب السيّد المسيح» وما ذلك الّا بما يقدّمون الى الله من الصلوات لاجل الكنيسة كاحبارها ورعاتها

٣ ولنا شاهد في ما كتبهُ القديس ايريناوس اسقف ليون في القرن الثاني للمسيح فانّهُ ذكر في كتابهِ تفنيد الهرطقات (ك ٤ ف ٣١) ما سمعهُ من احد تبعة تلاميذ المسيح الاوّلين «انّ الآباء والانبياء يفرحون في السماء لدى خلاص البشر ويؤدّون للرب في ذلك الشكر العميم». وقد ذكر في محلّ آخر (ك ٥ ف ١٩) العذراء مريم فدعاها «شفيعة حوّاء»

٤ ولاورنجانس من بعدهِ نصٌّ صريح في شفاعة القديسين فانهُ في كتابهِ المعنون «التحريض على الاستشهاد (ع ٣٠) يصف ما للشهداء من الكرامة عند الله فيقول: «انّ نفوس الذين ماتوا في سبيل المسيح بالاستشهاد تنال للذين يتضرّعون اليهم غفران خطاياهم». وفي ردوده على كلسوس الفيلسوف الوثني (ك ٨ ع ٦٤): «ان نفوس القديسين والملائكة اذا رأونا متشبّهين برضى الله يساعدوننا في تتميم ما يؤول لمجدهِ ويضيفون صلواتهم الى صلواتنا ويتضرّعون معنا الى الله»

ومثلهُ القديس قبريانوس اسقف قرطجانة الشهير في القرن الثالث للمسيح يقول في احد رسائله الى البابا كورنيليوس (الرسالة ٥٧) «ان خرج احد منّا قبل الآخر من هذا العالم فلا ينسنا بل يذكرنا عند الله ولا تزل صلواتنا هناك تتبع اخوتنا المجاهدين على الارض» ويكرر مثل هذا في آخر كتابهِ عن الموت حيث يقول «انّ اخوتنا الذين سبقونا الى سعادة السماء يهتمون لخلاصنا بشفاعتهم»

اما شواهد الآباء الذين عاشوا في القرن الرابع وبعدهُ فانّها لا تكاد تحصى كالقديسين اثناسيوس وباسيليوس ويوحنّا فم الذهب وهيلاريوس وايرونيموس حتى اضطرّ كثيرون من البروتستانت الى ان يسلّموا بتعاليمهم في هذا الامر

٤ الشواهد الطقسية

انّ الكتب الطقسيّة مفعمة بالشواهد التي تدلّ على اعتقاد الكنيسة جمعاء منذ

اقدم الازمنة واقربها الى اوائل النصرانيَّة بشفاعة القديسين. فهذه النوافير وهي صلوات تقدمة الذبيحة الالهيَّة فانَّها كلها دون استثناء تستمدّ شفاعة القديسين وتذكر منهم العذراء مريم والرسل والشهداء والمعترفين والعذارى فتطلب منهم نعماً روحيَّة وجسديَّة للاحياء وتستغيث بهم لاجل الموتى المؤمنين. وهذه الطقوس على اختلاف نزعاتها وتباين كتبتها في الشرق والغرب لسان واحد في اثبات هذه الحقيقة. ولو اردنا نقل النصوص المؤذنة في كتب الشرقيين الطقسيَّة بشفاعة القديسين لضاقت عنها بضعة اعداد من المشرق لاسيما ما تشتمل عليه من الادعية الى اولياء الله ليشفعوا بالموتى وينالوا لهم الخلاص من عذاباتهم في المطهر فيتمتَّعوا تماماً بالافراح السرمديَّة. وقد مرَّ لنا في ذلك فصلٌ مطوَّل في مقالتنا عن تذكار الموتى في الكنائس الشرقيَّة (المشرق ٢٠ [١٩٢٢]: ٩٧٨) وفي جميعها ادلَّة لامعة على اعتقاد المؤمنين شفاعة السيدة مريم العذراء وسائر القديسين المقرَّبين من الله بل شفاعة ابناء الكنيسة المجاهدة على الارض. وكلها تُفحم ناكري هذه الحقيقة سواء كانت تلك الكنائس متَّحدة مع الكنيسة الرومانيَّة ام منفصلة عنها

٥ شهادات الآثار القديمة على معتقد شفاعة القديسين

انَّ الكتابات الحجريَّة المرقومة باليونانيَّة او اللاتينيَّة على جدران ديماس رومية الراقية الى قرون الكنيسة الاولى والكتابات الاثريَّة العديدة التي وُجدت في انحاء آسية واوربَّة وافريقية البالغ عددها الالوف أتت ببرهان جديد يثبت صحَّة ايمان الكنيسة الكاثوليكيَّة بشفاعة المؤمنين على الارض ولاسيما القديسين في السماء.

١ فان مدافن الموتى المسيحيين مزدانة كلها بالادعية: «فليرقد فلان بسلام. ارحم يا رب عبدك فلاناً. فليسكن فلان مع الله. فليحيَ مع المسيح. ليعطِك الله الراحة الابديَّة». لعمري أكانوا توسَّلوا اليهم لو علموا انَّ أدعيتهم فارغة باطلة؟

٢ وكذلك تزين قبورهم ادعيةٌ الى العذراء مريم والى الشهداء والقديسين فحواها التماس شفاعتهم لاجل المتنيحين في حجر الكنيسة ليفوزوا بالنعيم الابدي. فانَّ قبوراً كثيرة رُقم فوقها «بشفاعة امّ الله او الشهيد الفلاني اغفر يا رب ذنوب فلان المتنيّح» وقد ذكر منها كثيراً حضرة القس جرجس اليان السرياني الكاثوليكي في مقالتيه

المدفونة» احوال الآخرة في عرف النصارى الاوّلين (المشرق ٢١ [١٩٢٣]: ٨٠٧—٨٠٩). راجع كذلك مقالة حضرة الخوري بولس سلمان المدفونة العقائد المسيحيّة في الديامیس الرومانيّة (المشرق ١٥ [١٩١٢]: ٥٧٢—٥٧٣)

٣ وكانوا لتتهم بشفاعة القديسين يطلبون ان تُقبر اجسادهم بقرب ضرائحهم او في الكنائس المقامة لتذكارهم . وهي عادة انتشرت في كل الامكنة حيثما كان مدفن احد القديسين او شاع فيها اكرامهُ . وربّما كانوا يجعلون في قبر الميت شيئاً من ذخائر الشهيد او القديس كحرزٍ ينال بهِ شفاعتهما

٤ وبين هذه الكتابات ما يشعر بثقة الميت في القديسين ساعة محاسبة النفس عن اعمالها او في يوم الدينونة لحرج ذاك الموقف الرهيب المنوط بهِ خلاصهُ الابديّ . ومنهم من يخصّ بذاك القديس ميخائيل رئيس الملائكة فيطلبون اليهِ ان يقدّم هو نفس الميت الى ديّانها لتحصل بشفاعتهِ على نعمة الخلاص

٦ شواهد الشيعة الانكليكانيّة

انّ اقطع حجّة يمكن الكاثوليك ان يقدّموها للبروتستانت في وطننا اذا وجّهوا سهامهم الى معتقدهم بشفاعة القديسين ان يذكروا لهم الكنيسة الانكليكانيّة البروتستانيّة التي تكرم اليوم في معظم كنائس انكلترّة صور القديسين وتماثيلهم وتقرُّ بشفاعتهم وتستغيث بهم . فكفى بهِ دليلاً على ما يوجد من التناقض في معتقدات البروتستانت فيبارك الواحد منهم ما يلعنهُ الآخر ولا يكاد يجمعهم ايمان واحد بل مجرّد اسمهم البروتستانيّ

اعتراضات ناكري شفاعة القديسين

استند ناكرو شفاعة القديسين الى بعض آيات الكتاب المقدّس حرّفوها عن معناها الاصليّ او لم يدركوا معناها الصحيح

واقوى حجّة عندهم لتأييد زعمهم انّ السيّد المسيح هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر (١ تيموثاوس ٢ : ٥) فاستبداد شفاعة غيرهِ ابتخاس من حقوقهِ . وانّما هذا غلط وسقطة . فانّنا لا ننكر ان السيّد المسيح هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر

وهو المخلص الذي افتدانا بدمهِ وفتح لنا باستحقاقات آلامهِ وموتهِ باب الملكوت . ولكن هيهات ان يبتخس اكرامنا للقديسين واستشفاعنا بهم شيئاً من حقوق السيّد المسيح وذلك لاسباب: ١ً لان اكرامنا لابن الله هو اكرام الخليقة لخالقها وفاديها يبلغ اقصى درجات التعبُّد والسجود واما اكرامنا العذراء مريم ولسائر القديسين فهو دونهُ كثيراً يصدر من مخلوقات ذليلة الى خلائق كريمة على الله محبوبة لديهِ

٢ً لاننا باكرامنا للقديسين نكرمهُ تعالى الذي بنعمتهِ بلغ القديسون الى كمال البرارة والقداسة . فيصحّ فيهم قول الربّ (١٠ : ١٦) «من سمع منكم سمع مني ومن احتقركم فقد احتقرني» فيا تُرى أيمكن ان يُقال اننا باكرامنا لاحد اصدقاء الملك نبتخس حقوق الملك أليس هذا الاكرام عائداً الى الملك نفسهِ ؟

٣ً لان الربّ نفسهُ ارشدنا الى اكرام قدّيسيهِ كما رأيت في الآيات المنقولة آنفاً عن الانجيل . ٤ً لانّ البشر طالما هم على الارض «لا يعلمون احبًّا يستوجبون ام بغضاً» (الجامعة ٩ : ١) أفلا يجدر بهم ان يتقرّبوا الى ربّهم ودّيانهم الرهيب بواسطة اخوتهم الابرار المقيمين في جوارهِ تعالى وهو لا يردُّ لهم طلباً ولاسيما بواسطة امّهِ التي هي اعزُّ مخلوقاتهِ عليهِ

فترى انّ هذا الاعتراض لا قوّة لهُ . وليس اعتراضهم الآخر اقوى حجّةً حيث يقولون كيف يستطيع القدّيسون ان يعرفوا ادعيتنا وهم في السماء ونحن على الارض. الجواب على ذلك انّ القديسين ينظرون كلّ شيء في الله فبرؤيتهم الله يكشف لهم ايضاً تضرعات البشر ولنا على معرفتهم هذه عدّة ادلّة . فانّ الملائكة الذين ظهروا مراراً للبشر كانوا يأتون ليخبروهم بقبول صلواتهم كالملاك رافائيل في كلامهِ الى طوبيّا البار وكالملاك جبرائيل في ظهورهِ لدانيال ولزكريا فكيف اطّلعوا على ذلك أليس لان الله كشف لهم الامر؟ وكذا قُل عن جميع القديسين الذين يوقفهم الله على ادعيتنا

هذه اخصّ اعتراضات البروتستانت فترى انّها اوهى من نسيج العنكبوت وان الكنيسة الكاثوليكية احسنت في كلّ آن ومكان باكرامها القديسين وباستشفاعها بهم وبالتبارك من ذخائرهم كما يكرم الناس كبار الرجال لا بل بنوع اخرى واولى . متّعنا الله بحمايتهم وشركنا يوماً بمجدهم برحمتهِ ومنهِ آمين

السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي (تتمة)

١٦ الطائفة السريانية الكاثوليكية في القطر المصري في العصر الحاضر

قد آن لنا ان نتبسّط في الكلام عن الطائفة السريانية الكاثوليكية في وادي النيل فقد كان للسريان المنوفستيين او اليعاقبة على ما صرّحنا الحظّ الوافر في القاهرة وملحقاتها حتى القرن السابع عشر. فانضموا الى الاقباط واساسوا في عهدنا لا جماعة رسمية لهم ولا كنيسة ولا دير

ولما اخذ السريان ينضمّون الى امهم الكنيسة الجامعة منذ القرن الرابع عشر أنشأوا طائفةً منتظمة تألف معظمها ممّن ارتحلوا من بلاد سوريّا وما بين النهرين فنما عددهم رويداً رويداً حتى تكوّنت منهم طائفة لا يقلّ عددهم عن ثلاثة آلاف نسمة في القطر المصري كما سنرى بعد. وممّا تقدّم يتضح جليّاً ان السريان الكاثوليك سبقوا سائر الجماعات الكاثوليكية الشرقية في الانحاء المصرية. وكانوا في اول امرهم يراجعون البطريرك البطريركي تارةً. وعام ١٨٦٦ قرّر احبار الطائفة إلحاق الابرشية المصرية بالابرشية الحلبية. ثم رسموا في سنودس الشرفة المعقود عام ١٨٨٨ ان تكون مصر ابرشية قائمة بذاتها يرعاها اسقف خاصّ ويدبّر شؤون الطائفة في القاهرة وفي الاسكندرية والسودان

وها نحن موردون اسماء الرؤساء الروحيين الذين تولّوا خدمة الملّة السريانية في القطر المصري مستندين في ذلك الى ما كتبه جناب الفيكونت فيليب دي طرّازي في «السلاسل التاريخية» (ص ٣٨٠-٣٨٥)

١ ﴿القس نعمة قدسي الحلبي﴾ كان هذا الاب الفاضل خبيراً بالعربية والسريانية والتركية. وقد درس العربية على الشيخ سليمان النحوي وعلى ابي السعود. وصنّف فيها شيئاً في الخطابة والمعاني والمنطق. وألّف يوم كان مسجوناً في قلعة آطنة سنة ١٧٠١ مع البطريرك اغناطيوس بطرس شاهبدين († ١٧٠٢) الصالح الذكر والمطران

رزق الله وستة قسان كتاباً سماهُ «شرح الاجرومية للملّة النصرانية». وانتشر كتابه هذا قبل «بحث المطالب» تأليف العلّامة المطران جرمانوس فرحات. وتداولتهُ ايدي القرّاء ونقلوا عن نسخته الاصليّة المخطوطة بقلمه والمصونة في مكتبة دير الشرفة نسخاً شتى منها نسخة في المكتبة الشرقية لدى الآباء اليسوعيّين في بيروت ونسخة في حلب وخمس نسخ في دير المخلص للروم الملكيين. ونسخ عدّة كتب منها كتاب منارة الاقداس لابن العبري (١ وكتاب اعمال الرسل ورسائل مار بولس بالتركية. وكتاب «مدرك النجاة ومحجة الفوز بالحياة في صدق الكنيسة المصطفاة» وكتاب «مختصر في الالهيات» والكتابان هما تأليف أستاذه الفريان اسحق بن جُبير الذي نشرنا أخباره على صفحات المشرق(١١ [١٩٠٨]: ٢٨٦). ونسخ في القاهرة سنة ١٧١١ كتاب مزامير. وكتاب اناجيل. ومحاورة جرت بين القديس مكسيموس الراهب وبيرس بطريرك القسطنطينيّة الشماس عبد الله بن الفضل بن عبد الله الانطاكي وهذه النسخة تخصّ دير المخلص تاريخها ٢٧ تموز ١٧١٦ كل ذلك بحروف ظريفة انيقة. وعام ١٦٩٢ ارتسم الشماس نعمة كاهناً بوضع يد خاله المطران يشوع مصرشاه (†١٧١٥) وبعد ان قضى مع أصحابه ثلاثة اعوام في سجن آطنه أنقذهم المسيو فيريول السفير الفرنساوي فسار القس نعمة الى القاهرة سنة ١٧٠٦ وتولى خدمة السريان الكاثوليك فيها حتى سنة ١٧٣٠ فنُصب مطراناً لدمشق وتوفي سنة ١٧٤٠

٢ ﴿الخوري عبدالله سعيد﴾ تولى خدمة النفوس في مصر منذ السنة ١٧٣٠ الى ١٧٦٠

٣ ﴿الخوري يوحنا سعيد﴾ هو ابن الخوري عبدالله السابق الذكر. وُلد في اورشليم وبعد ان رُسم كاهناً سار الى القاهرة سنة ١٧٦٠ وخدم فيها السريان الكاثوليك حتى سنة ١٧٧١ وقد ورد ما يزيد ذلك في «كتاب البستان في اخبار الرهبان» الذي

---

١) من هذا الكتاب نسخة في دير الشرفة عنها نُقلت نسخة المكتبة الشرقيّة للآباء اليسوعيين في بيروت. وفي آخر النسخة الاصليّة يصرّح الناسخ بما نصه: «اخرجه من اللغة السريانيّة واعتنى به... الشماس سركيس بن يوحنا الدمشقي الزرباني سنة ١٦٩١ ونسخهُ الشماس عبدالله ابن الشماس نعمة ابن الخوري توما... واعتنى بكمالة نسخه... نعمة بن قدسي بالاسم شماس». وهو المذكور في المتن

وصفناه (عدد ١٣ : ٢) وهو الذي نسخهُ بيده في القاهرة سنة ١٧٦٩

٤ ﴿الخوري الياس امير خان﴾ هو ابن فتح الله الديابكري انضمَّ الى الايمان الكاثوليكي سنة ١٧٧٠ وأنيطت به رعاية السريان الكاثوليك في القاهرة. وكان يتولى كأسلافه خدمة نفوسهم في كنيسة مار بهنام السريانية التي سبق لنا وصفها (عدد ٩) وبعد ان قضى ثمانية اعوام في مصر نُصب رئيساً على دير مار افرام الرغم بلبنان. ثم سافر الى رومية سنة ١٧٨٦ ونشر فيها كتاب الاشحيم (حسبعصل) وعُيّن ترجماناً في اللغتين السريانية والعربية لدى الحبر الاعظم. ثم وجّهه الى اسبانية البطريرك اغناطيوس ميخائيل جروه مع القس الياس دبّ الحلبي لمصالح دير الشرفة

٥ ﴿السيد ديونوسيوس ميخائيل جروه﴾ اضطُرّ هذا الحبر النبيل الى الفرار الى الاسكندرية في ٣١ اب ١٧٧٨ على أثر اعلانه الايمان الكاثوليكي في حلب. واقام سبعة شهور في دار المعلم ابرهيم شدياق. واغتنم تلك الفرصة ليوطّد السريان الكاثوليك في الايمان القويم. وكان يودّ لو يتفقّد احوال الطائفة في القاهرة على ما كتب في رسالته الموجهة الى رئيس البروبغندا بتاريخ ٥ تشرين الثاني ١٧٧٨ اذ قال:

« لا يمكننا الذهاب من الاسكندرية الى مصر لان فيها بطريرك للاقباط الذي يحمّ حذا البطريرك اليعقوبي. فاذا قصدنا مصر يزداد انكسار قلبنا . . . ولا نزال مقيمين في الاسكندرية مع شماسنا نقدّس ونصلي في بيت المعلم ابرهيم الشدياق »

وأوفد السيد ميخائيل من الاسكندرية الى رئيس المجمع المقدس قنطار بن بثابة هدية. وفي ٢٧ نيسان ١٧٧٩ غادر ثغر الاسكندرية الى دمياط ويافا والقدس يتعهد ابناء طائفته القاطنين في تلك الاطراف. ثم عاد الى حلب في ١٢ اب ١٧٧٩ وارتقى الى السدّة الانطاكية باسم ميخائيل الثالث في ٢٢ كانون الثاني ١٧٨٧ — ١٨٠٠

٦ ﴿السيد ايونيس نعمة الله الصدّي﴾ أعلن الايمان الكاثوليكي في ماردين سنة ١٧٨٢ وفوّض اليه البطريرك ميخائيل الثالث رعاية السريان في مصر فاقام فيها سنتين يدرس ابناء طائفته ثم شخص الى دير الشرفة سنة ١٧٨٤ وتوفي عام ١٨١٢

٧ ﴿الخوري شكر الله براغيث الحلبي﴾ قرأ العلوم في مدرسة البروبغندا ولمّا عاد الى الشرق نصبه البطريرك ميخائيل الثالث وكيلاً عنه في وادي النيل عام ١٧٨٥

٢٠ ﴿السيد اثناسيوس اغناطيوس نوري الماردينيﷺ درس في دير الشرفة وارتسم كاهناً سنة ١٨٨١ ومطراناً لبغداد سنة ١٨٩٥ وسُمّي نائباً بطريركياً للقطر المصري في ٣ ايلول ١٩٠٤ فدبّر الابرشيّة حتى سنة ١٩١٤ وسعى في استحصال الرخصة من الحكومة المصريّة في انشاء نصب خيريّ يعود دخلهُ الى الجمعيّة الخيرية السريانية تستعين به لسدّ حاجات ذوي الفاقة. وبذل العناية كذلك في الحصول على ارض فسيحة في العباسية خُصصت بدفن المتوفين من ابناء الملة

٢١ ﴿المونسنيور روفائيل جبري الموصليﷺ أوفده السيد اغناطيوس افرام رحماني بطريركنا الجزيل الطوبى الى الاسكندريّة في تشرين الثاني ١٩٠٥ ليجمع شتات الملة ويؤسس لها بيعة ودارًا للصلاة ولسكنى كاهن الرعية. فحلّ في اوّل الامر ضيفاً في دار بطريركيّة الاقباط الكاثوليك حيث اقام سنتين تمكن في اثنائها من لم شمث ابناء الطائفة. ثم استأجر مكاناً سنة ١٩٠٨ جعل قسماً منه لاقامة الفروض الدينيّة والقسم الآخر لسكناه. وهو اليوم يسعى مع اعيان الملة في مشترى بقعة ارض لبناء كنيسة ودار للنيابة البطريركية. وقد أقامه غبطة السيد البطريرك منذ السنة ١٩١٤ نائباً عامًّا عنه في القطر المصري

٢٢ ﴿الخوري جرجس ابرهمشا الحلبيﷺ تولى خدمة النفوس في القاهرة سنة ١٩٠٦ وابدى من اعمال الهمّة والغيرة ما أطلق الالسنة على شكره. واننا نثني أطيب الثناء على ما اداه لنا من الخدم في كلّ ما احتجنا اليه من اخبار طائفتنا العزيزة في وادي النيل في عهدنا الحاضر سائلين المولى ان يكافئه عنا بافضل الجزاء

٢٣ ﴿القس يوسف نجّاش الحلبيﷺ تلقّى العلوم في مدرسة الآباء اليسوعيين في بيروت واوفده غبطة السيد البطريرك الى القاهرة سنة ١٩١٢ ولا يزال يخدم النفوس في كنيسة مار الياس بدرب الجنينة حتى اليوم. على ان غبطة السيد البطريرك اظهارًا لعنايته الابويّة ومحبّته الخصوصية لطائفته السريانيّة في الانحاء المصريّة أوفد اليها في أيار ١٩٢٣ الى القاهرة بمثابة زائر بطريركي المونسنيور جرجس ستيته فاقام ثمّ حتى سلخ تموز ١٩٢٤. وفي اذار ١٩٢٥ ارسل السيد البطريرك الى القاهرة السيد يوليوس بهنام قليان ليتولى رعاية الطائفة نيابةً عنه.

هذه هي سلسلة الرعاة والآباء الذين تولّوا خدمة النفوس في القطر المصري وجعلوا

مركزهم في القاهرة . واذا رمنا ان نخصّص الكلام عن السريان في الاسكندريّة قلنا ان الفضل في ذلك عائد الى غبطة ابينا السيّد البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني الجالس سعيداً فانه هو الذي انشأ للطائفة مركزاً في تلك الحاضرة وأوفد اليها المونسنيور روفائيل جبري المذكور آنفاً فبذل المساعي في خدمتهم وتكبّد الاتعاب في سبيل نموّهم . ولما ازداد عددهم أرسل غبطة السيّد البطريرك القس جرجس حمّال ليساعدهُ في خدمتهم ايضاً . ولا يخفى انه ما عدا عاصمة الديار المصريّة ومدينة الاسكندرية يوجد عدد وافر من السريان الكاثوليك يسكنون اليوم في طنطا والمنصورة وسائر انحاء القطرين المصري والسوداني

وامتاز السريان المصريون بغيرتهم الدينيّة ومبادئهم الطيّبة واخلاقهم الكريمة واشتهر فيهم خصوصاً عيال ضاهر وموصلي وشدياق وابرهمشا وألطي وحمصي وبغدادي واسطنبولية وصالحاني تعاطوا التجارة وحصلوا على حظّ من الثروة وافر . وكان فرح الله ضاهر في طليعة الجميع نفوذاً ونقوداً لدى الحكّام واشتهر كذلك الخواجا يوسف بن حنانيا شدود ترجمان قنصلية فرنسا في القاهرة وكان شيخ صيارفة مصر . ومن جملتهم ايضاً نذكر الكومندور جرجس بن يوسف بن انطون ابرهمشا الذي شاد في شارع الظاهر كنيسةً على اسم والدة الله سلطانة الوردية كرّسها عام ١٩٠٤ غبطة بطريركنا السيّد اغناطيوس افرام الثاني الجزيل الطوبى

وامتاز في الاسكندريّة بمعارفه الجمّة وحسناته الوافرة حضرة الكومندور سليم جرجس بن يوسف رباط وهو الذي يسعى اليوم في تشييد كنيسة لائقة بابناء الطائفة في تلك الحاضرة . وقد زانه الله بالعطف على البائسين والرفق بالمعوزين وهو لا يزال يشملهم بكرمه وسخائه مقتفياً في ذلك وصيّة الربّ عزّ وجلّ القائل « اما انت فاذا صنعتَ صدقةً فلا تعلم شمالك ما تصنع يمينك (متى ٦ : ٣) . ومن الاسر السريانيّة المشهورة في الاسكندريّة أسرة بهنا وفتّال وشدياق ومخزومة الخ

ومن السريان الذين نبغوا بالعلوم والآداب في القاهرة يوسف بك شاهين الحايكّ الذي صنّف مقالات ضافية في مواضيع شتى ورسائل شائقة نُشرت في المجلات المصريّة . وقد عزّ على غير واحد من المعجبين بنضه ولهجته ان ينظروا تلك اللآلئ في كتاب ينشرونه بالطبع ضنّاً بها وحرصاً عليها . واشتهر كذلك الاديب يوسف بن

اليان سركيس الدمشقي الذي صنّف كتاب «أنفس الآثار في أشهر الأمصار» ونشر كتاب «الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب» وعرّب روايتي «عاصر وشجعان» و«الرحلة الجوّية» و«مائة حكاية قصيرة» وأنشأ مقالات نشرها في مجلة المشرق. ووضع كتاباً يحتوي على فهارس أسماء الكتب العربية المنشورة بالطبع وأسماء مؤلفيها او ناشريها. وسيمثله للطبع قريباً على ما بلغنا

ويحلو لنا ان نختم مقالنا هذا بذكر ما جرى في الديار المصرية للسيد يوليوس انطون سمحيري مطران ماردين قبل ارتقائه الى العرش البطريركي فانه بعد ما قضى مصالحه في القسطنطينية سافر بحراً في مركب عثماني الى رودس فتعرّضت له مراكب مصرية لسبب الحرب الثائرة يومئذ بين السلطان محمود ومحمد علي باشا خديوي مصر. وساقته عنفاً الى الاسكندرية. ولما وصل السيد سمحيري الى الثغر اوفد جواز سفره الى المسيو ميمو القنصل الفرنساوي فاوفد من فوره ترجمانه فنقله من المركب وأركبه حصاناً وسار به الى دير الآباء الفرنسيسيّين. ثم توجه الى القاهرة لزيارة ابناء الطائفة فاستقباوه كملاك هابط من السماء واغتبطوا برؤيته. وسأله الاكليرس القبطي الكاثوليكي والوجهاء ان يرسم لهم مطراناً واستأذنوا في ذلك البابا غريغوريوس السادس عشر فأجاب الخبر الاعظم الى التماسهم وكتب براءة رسولية فيها خوّل السيّد انطون سمحيري ان ينتخب الاب ثاردورس جاد الكريم مطراناً للاقباط. فاحتفل برسامته بموجب الطقس السرياني في ٢٢ حزيران ١٨٣٢. وكأنّه بذلك أعاد للسريان والقبط ما كانوا عليه في سالف الاحقاب من الاتحاد والاتفاق. واقام السيد سمحيري في القاهرة سنةً كاملة جمع في اثنائها من سخاء المؤمنين خمسة عشر الف قرش ساعدته على وفاء ديونه في ماردين (١

ولا يزال السريان في الاصقاع المصرية ناهجين نهج آبائهم وأجدادهم في احترام الدين ورؤسائه. وبسط كفّ الاحسان للمساكين تلافياً لشقائه. زادهم المولى الكريم فضيلة وفضلاً وسكب عليهم شآبيب نعمائه وآلائه (تمت)

---

(١) اطلب مقالتنا عن البطريرك انطون سمحيري في المشرق (١٧ [١٩١٤] : ٤٠١–٤٢٣)

الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٣ المستشرقون في اوائل القرن العشرين

كانت الدروس الشرقية في غرَّة القرن العشرين راقيةً في سائر انحاء اوربَّة والعالم. وقتئذٍ في سلام لم تكدّر صفاءهُ معامع الحروب. فكان للغتنا العربيَّة مقام رفيع في الجامعات الاوربية يتنافس اساتذتها في نشر تعليمها واستخراج مئات من دفائن كنوزها. وبانضمام الى ذلك الغيرات التي كانت تُعقد من وقت الى آخر في مواسم البلاد ورحلات السيَّاح الى بلاد الشرق القاصية: الى اليمن والهند ومراكش فيعثرون على تآليف عزيزة الوجود كانوا يعدُّونها ضائعة مفقودة فينشرونها بالطبع فيتَّسع بنشرها نطاق معارفنا عن آثار العرب

وكانت مجلَّات المستشرقين حافلة بتلك الآثار النفيسة لاسيما المجلَّات الاسيويَّة الفرنسويَّة والانكليزيَّة والالمانيَّة والنمساويَّة والايطاليَّة والاميركانيَّة فلم تترك باباً إلَّا قرعتهُ ولا بحثاً إلَّا خاضت فيهِ لا يهدأ لها بالٌ حتى تبيِّن غثَّهُ من سمينهِ وها نحن نذكر بعضاً من الذين خدموا العربيَّة في ذلك العهد فأسفت البلاد على فقدهم في اوائل القرن العشرين

(الفرنسويون) فقدَ مكتب اللغات الشرقيَّة الحيَّة في هذه الحقبة الاولى من القرن العشرين رجلاً هماماً ترأس عدَّة سنين على تنظيمهِ وترتيب دروسهِ وترقيتهِ السيِّد ﴿ادريان بربيه دي ميناره﴾ (A. Barbier de Meynard) ولد في ٦ شباط ١٨٢٦ على المركب الذي كان يقلّ والدتهُ من الاستانة الى مرسيلية وتخصص منذ حداثة سنهِ

بدرس اللغات الشرقية وساعدتهُ على اتقانها رحلاتهُ لخدمة قنصليات وطنهِ في القدس وفي طهران والاستانة فتعلَّم اللغات الفارسيَّة والتركيَّة والعربيَّة وتمكن من دقائقها حتى تولَّى تعليمها في مكاتب فرنسة العليا. فانتُدب الى رئاسة المجلة الاسيويَّة الباريسية ولهُ فيها فصول عديدة ممتعة تشهد لهُ بسعة معارفهِ. وقد حضرنا دروسهُ في باريس سنة ١٨٩٤ فكان لا يزال يطرئ محامد الشرق وآلهِ. ولهُ منشورات عديدة في التركية والفارسية. ومما خدم بهِ اللغة العربية نشرهُ لمروج الذهب للمسعودي في تسعة مجلدات مع ترجمتهِ الى الفرنسويَّة ونشر من معجم البلدان لياقوت ما يختصُّ ببلاد فارس. وساعد في نشر التآليف العربية المنوطة بالصليبيين فنقل الى الفرنسويَّة كتاب الروضتين لمجيد الدين الحنبلي في المجلَّد الرابع من مجموعها العربي. اما مقالاتهُ عن العرب والآداب العربية فتعدَّدة كمقالتهِ عن السيد الحميري والالقاب عند العرب الخ. كانت وفاتهُ في باريس في اواسط آذار ١٩٠٨

وفي تلك السنة عينها في ١٣ نيسان ١٩٠٨ فقد المكتب الذكور احد اساتذتهِ المعدودين هرتفيك ديرنبورغ (Hartwig Dérenbourg) وهو ابن جوزف ديرنبورغ الذي مرَّ ذكرهُ بين ادباء القرن التاسع عشر. اخذ عن ابيهِ ميلهُ الى درس الشرقيَّات فجاراهُ في نشاطهِ فانتُدب الى تدريس اللغة العربية في مكتب اللغات الشرقيَّة الحيَّة وفي مكتب فرنسا الاعلى ونشر عدَّة مطبوعات مفيدة اخصُّها كتاب سيبويه وديوان النابغة الذبياني مع ترجمتهِ الافرنسيَّة وكتاب الانشاء والاعتبار لأسامة بن منقذ والنكت العصريَّة لعمارة اليمني ونقلها الى الافرنسية وجدَّد طبع الفخري الآداب السلطانيَّة لابن الطقطقي. ومن آثارهِ وصف جديد لقسم من مخطوطات مكتبة الاسكوريال في مدريد. كان مولدهُ في ١٧ حزيران ١٨٤٤ في باريس وفيها توفي

وسبقهُ بالوفاة احد ابناء دينهِ الموسوي جول اوپرت (Jules Oppert) ولد في همبورغ في ٩ تموز ١٨٢٥ ثم عدل الى الجنسية الفرنسويَّة وتوفي في باريس في ٢١ آب ١٩٠٥. كان احد كبار العلماء باللغات السامية كالعبرانية والعربيَّة. وانما امتاز خصوصاً بدرس اللغة المسماريَّة وكان احد الاولين الذين ساعدوا على كشف الغازها. بعد ان قضى اربع سنوات في العراق يدرس اخباءها. ولما عاد الى فرنسة نشر نتيجة ابحاثهِ في كتابهِ المعنون «رحلة علميَّة الى بلاد ما بين النهرين» ولم يزل منذ ذاك الحين يتحف العلماء

بمنشورات متتابعة في تاريخ بابل واشور وفي اللغات السامية وخواصها

وفي هذه السنين الاولى من القرن العشرين رُزئت رسالتنا السورية بوفاة ثلاثة من رهبانها الفرنسويين الذين ادّوا للآداب العربية خدماً مشكورة استحقُّوا بها ان يُنظموا في عداد المحسنين الى الوطن. اوّلهم الاب ﴿يوحنا بلو﴾ (J.-B. Belot) المولود في غرّة آذار من السنة ١٨٢٢ في لوكس من اعمال بورغندية والمتوفّى في بيروت في ١٤ آب ١٩٠٤. باشر درس اللغة العربية منذ اوائل سني رهبانيّته ثمّ قدم الى بيروت سنة ١٨٦٦ ولم يزل ينشط في إحراز فرائد لغتنا حتى امكنهُ ان يتولى ادارة مطبعتنا ويهتمّ بنشر عدّة تآليف مفيدة. منها دينيّة كالقلادة الدرّيّة ومروج الاخيار والغصن النضير ومنها علميّة اصابت لدى المستشرقين وارباب المدارس في الشرق والغرب حظوةً واسعة كالفرائد الدرّيّة في اللغتين العربية والفرنسويّة وكمعجميّه الفرنسويّ العربيّ الكبير والصغير وكفراماطيقه الفرنسويّ العربي

وتوفي بعدهُ باسبوعين في ٣١ آب ١٩٠٤ يسوعي آخر ذو حرص كبير على خدمة العلم ونشر الآداب الشرقية الاب فرنكنور دي كوبيه ﴿(F. de Coppier)﴾. أرسل اوّلاً الى الجزائر ثم الى بيروت فقضى فيها عشرين سنة بنشر متواصل. فألف عدّة كتب ساعدهُ في تعريبها جناب الاديب خليل البدوي والمرحوم رشيد الشرتوني. منها كتاب التوفيق بين العلم وسفر التكوين وكتاب كشف المكتوم في تاريخ اخري سلاطين الروم وكتراجم بعض القديسين اليسوعيين: ريحانة الاذهان ونفح الزند ومظهر الصلاح وكتخبة النخب في ترجمة القديس يوحنا فم الذهب ونقل الى الفرنسويّة ديوان الخنساء وكتب فصلاً كبيراً عن شواعر العرب وترجم الى الفرنسويّة ايضاً كتاب القرآن (لم يطبع) ونشر في مجلّة الكنيسة الكاثوليكية فصولاً عديدة. كان مولدهُ في فرنسة سنة ١٨٣٦

والمستشرق اليسوعي الثالث المتوفّى في هذه الحقبة هو الاب ﴿اوغستين رود﴾ (Aug. Rodet) المولود في فرنسة في ٣١ ت ١ ١٨٢٨ درس العربية في الجزائر ثم أرسل الى سورية السنة ١٨٦٨ فترأس على مدرسة غزير قبل نقلها الى بيروت ١٨٧٠—١٨٧٥. ومن خدمهِ المعتبرة للوطن ترجمتهُ للاسفار الكريمة من العبرانيّة واليونانيّة الى العربية بساعدهُ في تنقيح تعريبها المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي. ونشر للمدارس مع

الاب يوحنا بلو مجموعة نخب الملح في خمسة اجزاء. توفي في ١٢ كانون الاول سنة ١٩٠٦

(الوطانيون والمستعربون) مات في اوكسفرد في غرة القرن العشرين ٢٨ ت١ ١٩٠٠ العلامة الالماني الكبير ﴿وليم ماكس مولر﴾ (W. Max Müller) كان معظم شغله باللغات الهندية والمقابلة بين اصول اللغات. وقد نقل الى الانكليزية كتاب القرآن مع كتب الشرق الدينية . كان والده في ديساو (Dessau) سنة ١٨٢٣ في ٦ كانون الاول

وفي ١٨ آب من السنة ١٩٠٣ انتقل الى جوار ربه في برلين الاستاذ الشهير ﴿فردريك دياتاريشي﴾ (Fr. H. Dieterici) كان مولده في مدينة برلين في ٦ تموز ١٨٢١ وساح في شبابه في جهات الشرق ثم تعين في وطنه كاستاذ العربية سنة ١٨٥٠ فثبت في تعليمه عدة سنين. وله تآليف عربية متعددة منها معجم عربي الماني وشرح الفية ابن مالك وصنف كتاباً في الشعر العربي ونشر نخباً من يتيمة الدهر للثعالبي ومن ديوان المتنبي. ودرس خصوصاً تآليف العرب الفلسفية كالفارابي واخوان الصفا فنشر منها بعضاً ونقل بعضاً الى الالمانية

وفي برلين توفي الرحالة المستشرق ﴿وتشتين﴾ (Joh. Gottfr. Wetzstein) ولد في ١٩ شباط ١٨١٥ وتوفي في ١٧ك٢ ١٩٠٥ تعين قنصلاً لدولته في دمشق وله سياحة في جهات حوران وجبل الدروز سنة ١٨٦٠ ونشر بعض ما وجده فيها من الكتابات

وفي كانون الثاني من السنة عينها توفي ايضاً ﴿فرنسيس جوزف شتنغاس﴾ (F. J. Steingass) كان ضليعاً باللغتين الفارسية والعربية. فمن منشوراته قاموس عربي انكليزي ونقل قسماً من مقامات الحريري الى الانكليزية وكتب عن تاريخ الخطوط والكتابات السامية. ولد في فرنكفورت في المانية وتوفي في انكلترة

وفي العام التالي في ٢٥ك٢ ١٩٠٦ فقدت السنة احد علمائها المستشرقين الكاهن ﴿غوستاف بيكل﴾ (G. W. Bickell) علّم زمناً طويلاً اللغات الشرقية في كلية إنسبروك وشيئة وبرز خصوصاً في درس اللغة السريانية فنشر فيها كتباً جليلة كديوان اسحاق النينوي والترجمة الكلدانية الكليلة ودمنة وهي التي سبقت ترجمة عبدالله

ابن المقفع العربية وقابل بين الترجمتين . كان مولده في ٧ تموز ١٨٣٨ وارتدَّ عن البروتستانيَّة الى الكثلكة

وممن ذاع اسمهم في هذه الحقبة ثم حلَّ أجلهم الدكتور موريتس شتينشنيدر (Moritz Steinschneider) المولود في ٣٠ آذار ١٨١٦ والمتوفَّى في برلين في ٢٤ كـ٢ ١٩٠٧ . قد نشر قوائم غاية في الافادة عن الكتب العربية المنقولة الى اللاتينيَّة وعن التآليف اليونانيَّة التي نقلها العرب الى لغتهم . وله جدول واسع للتآليف التي كتبها المسلمون والنصارى واليهود في صحَّة اديانهم وفي تفنيد اديان سواهم . وكذلك سرد قائمة جميلة لما نشره العرب في الرياضيَّات والعلوم الفلكيَّة وله تآليف آخر في الآداب العربية وانتشارها بين اليهود طبعهُ سنة ١٩٠٢ بالالمانيَّة

وزاد عليهم شهرةً ادوار غلازر (E. Glaser) الذي ولد في بوهيمية في ١٥ آذار ١٨٥٥ وتوفي في مونيخ في ٧ أيار ١٩٠٨ . رحل الى بلاد اليمن ووصف كثيراً من احوالها وآثارها ونشر كتابات حميريَّة قديمة او تكلَّم على اخبار ملوكها القدماء واخبار ملوك الحبش الذين استولوا على اليمن مدَّة من الزمان واستشهاد اهلها نصارى في عهد ذي نوَّاس الملك اليهودي

(الانكليز وهم البيكبوده) من اعيان الانكليز الذين قضوا أجلهم في العشر الاوَّل من القرن العشرين العلَّامة وليم ميور (W. Muir) احد المحقِّقين المدقِّقين في تواريخ المسلمين والعرب . ألَّف سيرة مطوَّلة لنبيِّ المسلمين في مجلَّدين سنة ١٨٥٨ . وكتب في القرآن وتأليفه وفي الخلافة الاسلاميَّة واطوارها المختلفة . وله مجادلات دينيَّة في الاسلام ومقالات في شعراء العرب ونشر تاريخ دولة المماليك في مصر . توفي في لندن في ١١ تموز ١٩٠٥ وعمرهُ ٨٦ سنة

واشتهر في انكلترَّة هنري كسّل كاي (H. Cassels Kay) ولد في أنفرس في بلجيكة ودخل انكلترَّة فاتَّخذته جريدة التَّيمس كراسل لها في مصر فنشر كتابات عاديَّة وجدها في مصر ودمشق . . ثم استوطن لندن وعلَّم فيها وطبع تاريخ بني عقيل ثم تاريخ عمارة اليمني ونقلهُ الى الانكليزيَّة وذيَّلهُ بالحواشي (١٨٩٢) توفي في ٥ حزيران ١٩٠٣ وكان مولده في ٢١ نيسان ١٨٢٧

المستشرقون في (اسوج وهولندة وروسيا) . عُنيت كلية اوبسالا في اسوج بتعليم اللغات الشرقية فكان يعلّم فيها العربية الاستاذ هرمان المكويست (Herm. Nap. Almqvist) نشر قسماً من رحلة ابن بطوطة وكتب في خواص الضمائر في اللغات السامية

ولم تزل هولندة رافعة منار التعليم للغات الشرقية وخصوصاً العربية جاريةً على آثار كبار علمائها الذين شرّفوا وطنهم من هذا القبيل منذ القرن السابع عشر . ومِمَّن فقدتهُ الآداب العربيّة في هذه الحقبة الاولى من القرن العشرين احد علماء ليدن الذي مات في ريعان شبابه وهو الاديب ڤان ڤلوتن (C. Van Vlouten) . نشر كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي ومعظم رسائل الجاحظ الادبيّة توفي سنة ١٩٠٧ منتحراً

اما روسيا فكان ناشر لواء علومها الشرقيّة العلّامة البارون ڤيكتور فون روزن المولود سنة ١٨٤٩ في مدينة رول من اعمال استلند وتوفي في بطرسبورج في ٢٣ ايار ١٩٠٨ (راجع ترجمتهُ في الشرق ١١ [١٩٠٨] : ١٧١—١٧٣) درس على العلّامة المستشرق فلّيشر في ليبسك ثمَّ عُهد اليهِ تعليم اللغة العربية في كلية بطرسبورج فاضحى قطب علومها الشرقية ونال ارفع الامتيازات الشرفيّة لسموّ فضلهِ . والعربية مَدينةٌ لهُ بما نشره من اثارها منها منتخبات مدرسيّة شتى مع ترجمتها الى الروسية . وطبع قسماً من تاريخ يحيى الانطاكي الذي عُنينا بنشرهِ ملحقاً بتاريخ سعيد بن بطريق . ولهُ وصف مخطوطات مكاتب روسيّة الشرقيّة وساعد على طبع تاريخ ابي جعفر الطبري في ليدن . وكان ذا لطف كبير يسعى الى خدمة من التجأ اليهِ في الابحاث الشرقيّة وعليهِ تخرّج كثيرون من الروسيين فاشتهروا في وطنهم وخدموا الآداب العربيّة خدماً مشكورة

(الهُ بقيّة)

سليمان البستاني

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ اليان في كليتنا

القسم الاول: الرجل (تابع)

٨ في الولايات المتحدة

استقباله — مرضه — وفاتهُ (١٩٢٤—١٩٢٥)

« والتفَّ رجال العلم والادب في نيويورك حول ضيفهم التفاف الجند حول العلم » (جريدة السائح)

وما نزل البستاني الى برّ الولايات المتحدة حتى احتفلت بقدومه الجالية السورية واللبنانية هناك احتفالاً لا تدري مثيلهُ . فتنافست رسته الحر ... ت له الحفلات الشائقة فكان موضوع اعجاب كل من عرفه . وان من يطالع المقالات الضافية في الصحف الاميركية يتحقق مقدار اعتبار العلم والادب في تلك البلاد . وحمل معه الى العالم الجديد تاريخه الكبير وبعض مؤلفاته الخطية فكان يجيل فيها الآخر مرَّة قلم التصليح . وبين الفرصة والاخرى كان يُملي مذكراته باللغة الانكليزية على السيدة ماري ابنة اخيه سعيد وعقيلة السيد ميشال خليل البستاني

وطُفيَ نور عينيه فلازم المنزل فكان يجتمع حولهُ كتَّاب نيويورك وادباؤها فيستنيرون بنوره ويلتقطون الجواهر من دور حديثه حتى اصبح مقرُّه كعبة الادب العربي في تلك المدينة الزاهرة . . . وكم من حديث معه وعنه نُقل الينا على صفحات «الهدى» او «السائح» او غيرهما يشفّ عمَّا أولاه اولئك الادباء من الاعتبار وعمَّا كان يفيض عليهم قلبهُ الطافح من انوار المعارف الساطعة . وكأنهُ صوَّر نفسه في شخص هوميروس اذ ذكر سفر نابغة اليونان واشتداد الانواء على سفينته والتجاءه الى جزيرة «يوس» فقال : « فاقامرا (اي هوميروس ورفقاؤه) اياماً في مكانهم واهل الجزيرة يتهافتون افواجاً لمحادثة هوميروس وقد بلغ بهم الاعجاب منتهاه لما كان ينثر عليهم

من غرر الاقوال ودرر الامثال » (١

واقعده المرض فما ازداد زوّاره الّا غيرة ولطفاً وادباً وكأني بهم ارادوا ان لا يفوتهم شيء من اشعّة هذه الروح النيّرة قبل ان تقطع امامهم مرحلتها الاخيرة . . .

وظهرت برقة امل في ذلك الديجور فتحسنت صحة المريض نوعاً وورد الى بكشتين في اواسط ايار سنة ١٩٢٥ كتاب من السيدة ماري البستاني تقول فيه ان صحة عنها تقدّمت كثيراً وانها لم تره قطّ بمثل تلك الطمأنينة

ولكن سرعان ما اثبت الواقع خيبة هذا الامل . فما كان اول حزيران حتى ارتجّت اسلاك البرق حاملةً الى العالم وفاة الرجل الكبير بينما كانت روحه الطاهرة تطير نحو خالقها مستريحةً من ضوضاء هذه الدنيا . ولم نعلم هل هناك مرض خاصّ المّ به في آخر ايّامه بل جلّما قيل انه توفي اثر تعبه وإضنائك جسمه بالاعمال المتواصلة . وقيل انهدمات عقيب قلع ضرس من اضراسه . وعلى كل فان ذاك الجسد كان اصبح اضأل من ان يحوي فيه تلك النفس الكبيرة

« واذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الاجسامُ »

٩ اكرام الجثمان

« فتح الموت حين أغمض عينيه م عيون الورى على حسناته » (ايليا ابو ماضي)

(في نيويورك) توفي سليمان البستاني نهار الاثنين الواقع فيه اول حزيران سنة ١٩٢٥ وله من العمر ٦٩ سنة وثمانية ايام فخُنّطت جثته كي تُرسل الى لبنان فتُدفن مع آبائه واجداده

واذ كانت في نيويورك عُرضت في قاعة الكنيسة المارونية اجابةً لطلاب الراغبين في رؤيتها . ونهار الخميس في ٤ آب نُقلت الى كنيسة القدّيس شارل دي بوروميو حيث صلّى عليها الاكليروس الماروني برئاسة الخوري اسقف خيرالله اسطفان . وارسل قناصل فرنسا وتركيا ومصر في نيويورك مندوبين عنهم للاشتراك في المأتم . ووصفت الجرائد الاحتفال وصفاً ضافياً يضيق المقام بايراده

(١ مقدمة الالياذة (ص : ١٥)

وكان اهل الفقيد في نيويورك ومنهم ميشال البستاني زوج ابنة اخيه وخليل اسعد البستاني قد ازمعوا على ارسال الجثة في القريب الى بيروت. فجزع المهاجرون لان الوقت لم يكُ يسمح لهم ان يقوموا بالواجب وهم لم يرضوا بهذا المأتم مع فخامته بل ارادوا ان يشتركوا جميعهم على اختلاف طوائفهم ونزعاتهم في وداع الراحل الكريم. وعلمت شركة «فابرلين» بعزم اهل الفقيد على ارساله فبعثت كتاباً الى وكيلها في نيويورك السيد ابراهيم حتي هذه صورته:

«السيد ابرهيم حتي — ٦٠ شارع واشنطون — مدينة نيويورك

سيدي العزيز:

علمنا بواسطة الجرائد بوفاة سعادة سليمان بك البستاني وعلمنا ايضاً بان جثمانه سينقل الى بيروت. وبما ان باخرتنا «آسيا» متجهز الى بيروت رأساً في ١١ حزيران فاننا نعتبر من الشرف ان تنقل جثمان سعادته الى وطنه واذا سادت ما نرضه قبولاً تفضلوا باطلاعنا على التفاصيل التي ترافق نقل الجثة الى الباخرة

لكم باخلاص

س. دبليو الن وشركاه»

فشكروا لها هذه المنة. وأرسل السيد فؤاد البستاني الى الجنرال ساراي برقية هذه ترجمتها.

«صاحب السعادة الجنرال ساراي المفوض السامي — بيروت — لبنان

الرجو منكم إشعار القنصلية الفرنسوية العامة في نيويورك باجازة ارسال جثمان المرحوم سليمان البستاني الى بيروت

فؤاد البستاني»

ثم تأخر الجواب عن ميعاد سفر الباخرة «آسيا» فسُرّ المهاجرون اذ رأوا ان الحظ يساعدهم باكرام الفقيد اكراماً لائقاً به فاجتمع صحافيوهم وكبارهم وألفوا لجنة سمّوها «لجنة سليمان البستاني». فاتى اعضاؤها وهم مختلفو الطوائف من الاعمال اعظمها ترتيباً واتقاناً واخذت بالاستعداد للسادس من تموز وهو موعد تشييع الجثمان الى الباخرة «سينايا» التي قدمتها شركة فابر فنشرت الدعوات في الجرائد مفصّلة كل ما سيجري فكانت حفلة الوداع من ارق الحفلات وادعاها لاثارة الحزن والاسف افاضت في وصفها الصحف النيويوركية افاضةً ما وراءها زيادة لمستزيد

(بين نيويورك وبيروت) وسارت «سينايا» حاملة الرفات الجليل تتبعها زفرات

المهاجرين، وما وصلت الى ثغر بروفيدانس وهو آخر الثغور التي ترسو فيها قبل استئنافها السفر الى بيروت حتى صعدت اليها الوفود القادمة من المدن المجاورة للتيمم بواجب الوداع الاخير للفقيد الكبير (المراسل الهدى في ٨ تموز)

(في بيروت) واطلت سينايا على بيروت عصر الاربعاء في ١٥ آب فخفقت لها القلوب وشخصت العيون وهي ترجو لو أتيح لها خرق تلك الحُجُب الكثيفة لتتمتع برؤية ذاك الضرير النائم نومة الابد . . .

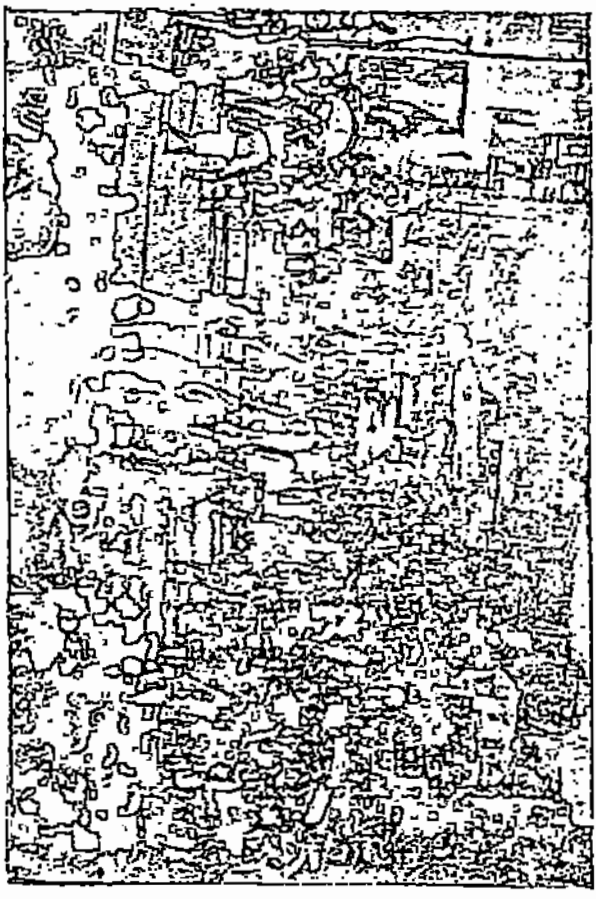

صورة استقبال اهل بيروت رفات البستاني

وكان قد اتى بيروت من مصر الاستاذ الدكتور سليم بك البستاني شقيق الفقيد

ومعه الاديب نبيل ابن اخيه الدكتور عبدالله بك. وهبطها من بكشتين والدبية ودير القمر وبعض قرى الشوف واقليم الخروب الوفود العديدة لاستقبال الجثمان. فنُقل صباح الخميس الى المحجر الصحي حيث اودع الى الساعة الرابعة مساء. وفتح التابوت الخارجي فظهر الفقيد من وراء تابوت الزجاج بهيئته الطبيعية المهيبة ولم يؤثر في ملامحه شيءٌ الا بعض الاصفرار

وكانت الجمعية الخيرية المارونية اخذت على عهدتها امر السير به الى كاتدرائية القديس جرجس فتمَّ ذلك بكل ترتيب

واذ وصل الموكب الكاتدرائية قام بالمراسيم الدينية سيادة المطران اغناطيوس مبارك وغبطة بطريرك السريان ولفيف الاكليروس الموقر وقد ضاقت الكاتدرائية على رحبها الجماهير الحاضرين . وأبن الفقيد في الكنيسة حضرة الخوري يوحنا الحاج بعد ان قرأ برقية غبطة البطريرك الماروني. وفي المساء اقيمت حفلة ادبية يأتي ذكرها

(الى المقر الاخير) ما ازفت الساعة السادسة من صباح الجمعة في ٧ آب حتى سارت سيارة تقلّ جثمان الفقيد تظلها الاكاليل وتتبعها سلسلة طويلة من السيارات ووجوهها السعديات حيث نُقل منها النعش على الاكفّ الى بكشتين. سقط رأس الفقيد وسقط جثمانه . . .

ووصل الموكب قرب الظهر الى تلك القرية وهناك جموع تموج وجماهير تعجّ آتية من اكثر من ثلاثين ضيعة وكلها مشتركة بين اسلام ودروز ومتاولة ونصارى. فأبن الكثيرون منهم الراحل الكريم. اما جثمان الفقيد الكبير وهو لا يزال بهيئته الطبيعية فقد اودع غرفته الخاصة التي كان يكتب فيها معظم الاياذته . . .

وهكذا فانَّ سليمان البستاني بعد ان جاب اطراف البلاد ودرس حياة مختلف الشعوب طيلة سبعين عاماً عاد الى شعبه الذي خرج منه ولم يسترح الّا في بلده الذي وُلد فيه . . . ولا غرو فهو القائل :

لا يستقرُّ الطيُّ في فلواتهِ حتى يعاود وِرده المبرودا (١)

(١) عبرة وذكرى (ص : ١١٢)

١٠ الميت الحيّ

«هل رأيتم او هل سمعتم قديمًا ان شخصًا يكون ميتًا وحيًا؟
ذا سليمان فهو بيتٌ وحيٌّ جادهُ الغيثُ كل آنٍ وحيّا»

(نعوم البستاني)

اجل هو ميت حي. حيّ بمآثره الغرّاء. حيّ بتآليفه العديدة. حيّ بخدماته لبني قومه واعماله في سبيل وطنه. وعلى هذا فقد ابى قومه ان يدعوه ينتقل من حياة الدنيا الى حياة الخلود دون ان يبرهنوا عن اعتبارهم لشخصه وصفاته واعماله

(الصحف) وكان اول من نعاه جريدة «الهدى» فكتبت عنه الفصول الطوال

وقد اصدرت جريدة السائح في ٢٢ حزيران ١٩٢٥ عددًا خاصًا بالفقيد صدّرته برسمين له: احدهما يدوي بريشة الفنّان العصري جبران خليل جبران يمثل رأس الفقيد وهو على فراش الموت والثاني شمسي يمثله في آخر ايام حياته. وقد كتب في هذا العدد كل من السادة جبران خليل جبران. وليم كاتسفليس. ميخائيل نعيمه. ايليا ابو ماضي. عبد المسيح حداد صاحب الجريدة

وقد اصدرت مجلة «الاخلاق» النيويوركية عددًا خاصًا ايضًا وذلك عن شهر حزيران وقد كتب فيه كل من السادة: يوسف مراد الخوري. نعمه الحاج. يعقوب روفائيل صاحب المجلة. جرجي نقولا باز. الخوري منصور اسطفان. الشيخ عباس ابي شقرا. مسعود سماحه. الدكتور فيليب حتي. نعوم مكرزل. حبيب كاتبه. والعدد مزين برسمين للفقيد ورسم للحفلة الاكرامية التي اقيمت له في نيويورك

وكذلك جريدة «دير القمر» اصدرت عددًا خاصًا في ١٤ آب ١٩٢٥ صدّرته ايضًا برسمين للفقيد وكتب في ذاك العدد كل من السادة خليل مطران. الاستاذ بولس غانم. مراد ابي نادر. نعوم افرام البستاني صاحب الجريدة. كاتب هذه السطور

(المحفلات) امّا الحفلات الدينيّة المقامة لاراحة نفس البستاني فقد ذكرناها في محلها الّا حفلة مصر التي أقيمت في ١٢ حزيران وحضرها لفيف الاكليروس الماروني مع حضرة العلامة الاب خليل اده اليسوعي واما الحفلات الادبية فها وصفها حسب تاريخ اقامتها

﴿ في الولايات المتحدة ﴾ كانت نيويورك وهي محل موت الفقيد السابقة الى تكريم ذكراه فاقامت حفلتين ادبيتين اعدّت الاولى منهما الجامعة الاميركية السورية مساء الثلاثا في ١٦ حزيران ١٩٢٥ فتكلم فيها كل من السادة الدكتور الياس مسلم رئيس الجامعة . وليم كانسفليس . المستر هنري مورغنتر سفير الولايات المتحدة في الاستانة سابقاً وصديق الفقيد . الدكتور خليل عساف بشاره . ايليا ابو ماضي فتلا قصيدة غاية في البلاغة قال فيها :

فتح الموت حين اغمض عينيه م عيون الورى على حسناته
فهو ماض له جلالة آت من فتوحاته ومن غزواته
والفتى البقريّ يولد اذ يو لد في مهده ويوم وفاته (١)

وفي ٦ تموز يوم تشييع الجثة اقيمت الحفلة الكبرى في قاعة بروسبكت حضرها زهاء عن شدة الحرّ ثمانمائة من سادة وسيدات . وتكلم فيها كل من السادة الخوري منصور اسطفان كاهن الفقيد . المستر جان هيلان محافظ مدينة نيويورك . المتقدم في الكهنة باسيليوس خرباوي . الارشيمندريت برنردوس غصن . الدكتور اللاهوتي خليل عساف بشارة . يوسف . مراد الخوري . الدكتور فؤاد شطاره تكلم بالانكليزية وتلا تأبيناً وارداً من المنتدى السوري الاميركي في سنسيناتي اوهايو . السيد اسعد الملكي ابن وتلا تأبين السيد جبران خليل جبران المتغيب عن المدينة . الشيخ عباس ابي شقرا . الدكتور عبد المسيح منصور

وورد على اللجنة برقيات عديدة منها واحدة من المطران جرمانوس شحاده وما بقي من جمعيات مختلفة . وقدم من بوغنسي (نيويورك) وفد يمثل المنتدى السوري الاميركي (٢)

﴿ في الارجنتين ﴾ وأرادت اميركا الجنوبية ان يكون لها حظ شقيقتها الشمالية في تكريم ذكرى فقيد الامة . فاقامت الجالية السورية اللبنانية في توكمان حفلة فخمة وحفتها الجرائد العربية والارجنتينية وفي مقدمتها « السلام » وصفاً مفصلاً فذكرت انها

١) راجع جريدة « السائح » النيوركية في ١٨ و ٢٣ حزيران ١٩٢٥

٢) راجع نشرة « لجنة سليمان البستاني التذكارية » في « الهدى » في ٢٨ تموز وجريدة « الهدى » في ٧ تموز و « الشعب » في ٨ تموز ١٩٢٥

أقيمت في ٢٠ تموز . تكلم فيها كل من السادة نجيب بعقليني . سليم سعد . نسيب اسطفان . جورج عساف . الاب مبارك مارون . لطف الله البستاني

﴿ في بيروت ﴾ وكانت الحفلة الكبرى معدة لبيروت التي عرفته صغيراً وشاباً وكهلاً . لبيروت التي دافع عنها في مجلس المبعوثان سنتين متواليتين فاجتمع مساء ٦ آب ادباؤها واديباتها في نادي مدرسة الاحد وتكلم كل من السادة : جورج نقولا باز . جبران التويني انشد قصيدة خليل بك مطران بمصر . رشيد بك نخله . الشيخ ابراهيم منذر . جميل بك بيهم . فؤاد بك حمبه . الاستاذ بولس غانم . انطون بك شحيبر . محمد كامل شعيب العاملي . حليم دموس . امين نخله . وختم الحفلة نسيب الفقيد الاستاذ وديع البستاني بخطاب شكر (١)

﴿ في المكسيك ﴾ واقامت جالية المكسيك في ٨ آب حفلة تذكارية لم ترد نا تفاصيلها ولم نقف منها الا على قصيدة الاستاذ محبوب الخوري الشرتوني فرأيناها حسنة

﴿ في البرازيل ﴾ وابى البرازيل الا ان يشترك في تلك الحفلات التي تردّد صداها من الولايات المتحدة الى الارجنتين الى المكسيك الى مصر الى لبنان وسوريا فقام النادي [illegible] بحفلة فخمة في ١١ آب تكلم فيها كل من السادة قيصر جراب . فوزي المعلوف . الدكتور سعاده . الياس فرحات . الدكتور فيليب حتي . رشيد سليم الخوري (٢)

(التمثال والمشروع) ما كاد الموت يغمض عيني البستاني حتى قام الادباء في المهجر والوطن يبثون فكرة نصب تمثال للفقيد الكبير يكون محجة للادباء وقبلة لمكرمي الصفات السامية . وانتهى صدى هذه الفكرة الى جميع البلاد العربية فكتب الامير شكيب ارسلان من مرسين بتاريخ ١٢ حزيران يقترح اقامة التمثال لرجل «هو احدى مفاخر الشرق الكبرى» وابرقت لجنة العصبة الوطنية اللبنانية في مصر في ٦ آب طالبة الطلب ذاته

وكان الكاتب الكبير السيد نعوم مكرزل صاحب «الهدى» قد سبق الجميع وابرز هذا الفكر الى حيز العمل بموازرة مجيّة الشرق وكل ما يتعلّق به السيدة ماري

---

١) راجع جرائد بيروت في ٦ و٧ و٨ آب ١٩٢٥

٢) راجع جريدة «ابو الهول» عدد ١١٠ و١١٣ في ١٢ و١٥ اب ١٩٢٥

عزيز خوري والشاعر الفنّان السيّد جبران خليل جبران . وتعهّدوا بانجاز التمثال على نفقتهم الخاصّة . ومما قالهُ جناب المقترح : «هنيئاً للمدارس التي سيقود عقلاء رؤسائها التلامذة الى حيث يقام نصب سليمان البستاني ويسألونهم الاقتداء به . . .»

هذا ما عنى التمثال اما شارع سليمان البستاني فقد ارسلت جمعيّة لبنان الفتى في مصر برقيّة هذا مضمونها :

«لبنانيو مصر يلحّون باسم الوطن في ان تُطلق بلدية بيروت اسم سليمان البستاني على شارع من اكبر شوارع العاصمة اللبنانية عملاً بالواجب الوطني والادبي»

واننا الى الآن ننتظر رأي البلدية . . .

(النابغين والآثار) رأت جريدة «الهدى» الغراء ان تجمع في كتاب خاص كل ما قيل في رثاء الفقيد من نثر وشعر وهي تستعد الآن لاصدار ذلك الكتاب الذي سيكون شاهد عدل على تقدير العالم العربي منزلة العلم والادب

وقد ذكرت ايضاً انها ستجمع «ما لا يزال غير مطبوع من كتاباته حتى لا تخسر الأمة والآداب خسارة فوق خسارة» وفقها الله واخذ بيدها

وهناك اقتراح آخر كانت هي اول من ذكرته وهو اقتراح يطلب بحثاً وتفكراً طويلاً ألا وهو اكمال دائرة المعارف . الاقتراح جميل والعمل خطير يخلّد للمهاجرين والكل لبناني يشترك فيه الذكر الحسن ولكني ارى انه اذا بوشر باكمال دائرة المعارف وجب اعادة طبع كل ما انتهى منها الى الآن لان الحالة العلميّة والادبيّة الآن ليست هي لاربعين سنة خلت . . . وعلى كلٍّ فانّ البريد لم يحمل لنا ابحاث اللجنة المذكورة بهذا الخصوص

١١ اخلاقه وصفاته

درسنا حياة ذاك الجبّار الراحل ورأينا ما قام به من الاعمال الادبيّة التي تعجز عنها اللجان العديدة وما ناله من المناصب السياسيّة التي قلما اجتمعت للبناني فكان في كلها المثال الاعلى يقتدى به ويسار على آثاره

هذا سليمان البستاني وقد كان عظيماً في آدابه عظيماً في سياسته وادارته . واني لاراه اكثر عظمةً في اخلاقه وصفاته واقرب الى قلوبنا بقلبه الكبير

١ عزمه وقوة ارادته

«كان في دولة السيوف وزيراً العيًّا ودولةً في ذاته» (ايليا ابوماضي)

هذا القول «كان دولةً في ذاته» ! هذه لعمري اجمل كلمةٍ يُنعَت بها انسان . ان تملك البستاني على نفسه لهو اعظم من تبوئه كرسي النيابة ومقعد مجلس الاعيان وتربُّعه في دست الوزارة

ومن الادلَّة على شديد عزمه انه كان ذات يوم من السنة ١٨٨٧ في ادارة المقتطف في مصر يصلح مسودَّة مقالته عن البدو والصَّلَبة (١ . فقال له رئيس التحرير في اثناء الحديث : « ارى أن تعمل ما لم يعمله الاوائل من ابناء هذه اللغة فقال: وما هو ؟ قال: ان تترجم هوميروس . . . » قال رئيس التحرير: «ففكر قليلًا ثم قال: سأفعل»(٢ وان من قرأ الالياذة او سمع بها يعرف ما في هذا الوعد من شدَّة عزم وقوة ارادة روَّضها صاحبها السنين الطوال فاصبحت طوع بنانه . وقد قال رحمه الله في مقدّمة ذاك الكتاب النفيس ذكرًا لحكايته في تعريبه :

«جاءتني الفكرة وانا مع عائلتي في خطورة الموقف ووعورة المسلك وطول الشقّة . . . وعزمت منذ ثبتُّ اول بيت منها على ان لا اغادرها حتى آتي على آخرها» (٣ . . . وهكذا كان

ويلحق بقوة ارادة صبره وثباته على العمل . فقد صمَّم على ترجمة الالياذة واتمَّها بعد سبعة عشر عاماً فصبر طول المدَّة على هذا العمل الصعب

وكان ثباته في مبادئه كثباته في اعماله لا يزحزحه عنها مناظرة ولا مشاحنة اذا تأكَّد صحَّتها وقد قال عنه المرحوم جرجي زيدان :

«. . . واذا باحثته في موضوع تؤنس منه ليناً في جداله فتستضعفه وتحسبه لا يلبث ان يتحوَّل عن رأيه فاذا خبرته رأيته ثابتاً في ما يراه او يعتقده مع اعتدال ورويَّة» (٤ فهو كما وصفه الاديب نوم المكرزل : « كلُّها صوارم قوي »

فهذه امثلة من ثبات البستاني فهلَّا اقتدينا بها ونجونا من بلايا الشرق عدم الثبات

---

١) راجع المشرق (تشرين الاول ١٩٢٥) ص ٧٨٦

٢) راجع المقتطف (آب ١٩٢٥) سليمان : البستاني (٣٦١-٣٦٧)

٣) مقدمة الالياذة ص : ٦٩

٤) جرجي زيدان . سليمان البستاني . الهلال (١٧ [١٩٠٨]: ١٧٦-١٨٠)

الذي كان ولا يزال العلة الكبرى في اعمالنا ومشاريعنا !

٢ تربيته

ولد البستاني مارونياً وقيض له الله ان يصرف طفوليته واول صباه في ظل اسقف جليل زرع في نفسه الطريّة حبّ الله ودينه فترعرع على هذه المبادئ الصالحة وتأصلت في قلبه فلم تتزعزع . . . كان مارونياً كاثوليكياً طول حياته لا بالاسم فقط بل بالفعل يقوم بواجباته الدينية خير قيام كما اخبرني ثقة من اصدقائه . فكان يعلن بثباته انّ الانسان ، على قول باستور ، يقدر ان يكون في وقت واحد كاعظم العلماء معرفةً وكاحقر الفلاحين ايماناً

وكان ايمان فقيدنا حيّاً ممزوجاً بمحبة واحترام . يظهر ذلك خاصّة في شرحه للالياذة وتعليقه على خرافات اليونان الاقدمين ومقابلته لها بما جاء في العهد العتيق فانه يروي ذلك على سبيل المقابلة مميزاً ما جاء في التوراة عن الاقاصيص الخرافية (١

اما ثقته بالعناية الالهية مع اتكاله على الحق سبحانه فكانت قوية ثابتة تبدو في كل اعماله وكثيراً ما ردّد آية المزامير (مز ١٢٦) والبيت من نظمه (الالياذة ص ٦٦٧) :

ولا يقوم بناء لا تُخيط به عين العناية الّا ثابتُ الخَلَلِ

وكفى دليلاً على تلك الثقة وذاك الاتكال صبره الجميل وتحمّله الآلام المبرّحة التي اصابته في اواخر الحرب في سويسرا والتي خلّد ذكرها بقصيدته الخالدة «الداء». صبر على آلام جائرة وصبر على علاجات مرّة لم تكن اقلّ وجماً وتبريحاً من تلك الآلام وفيها يقول بعد وصفها :

فذا داني وذاك علاج دائي ولست بسالم إيّاً امرأ (٢

---

١) وروى عنه الخوري منصور اسطفان تزيل نيويورك قال : « في آخر مقابلة كانت لي معه ونحن اربعة في نزل سان جورج بيروت كلن وقد سبقت وفاته اسبوعاً واحداً كان يقص علينا حديث شقيقة له ورعة تقيّة فسأله احدنا : «وانت؟ . . . » فقال وهو يبتسم كعادته ما حرفيته : انا مؤمن ولكن بعقل اكثر منها . ثم اتمّ حديثه رحمة الله عليه »

٢) الداء والشفاء – الطبعة الثانية مصر ١٩٢١ ص : ٤

وكان رحمهُ الله يعمل كثيراً للتمييز بين الدين والتعصب الديني وخصوصاً مـا ينطوي عليه هذا التعبير الاخير من المعاني التي اكثر الخلط فيها بعض الكتبـة ولم يزالوا يخلطون. قال في كتابه «عبرة وذكرى (ص ٩٠) في باب «الدستور والتعصب»: «التعصب دينياً كان او جنسياً اذا لم يتجاوز حب الدين والجنس الى بغض من خرج عنهما فليس بالخلة المذمومة...»

وهكذا كان عالمنا متعصباً بالمعنى الشريف اي محباً لدينه وجنسه وغير متعصب بل باغضاً التعصب بالمعنى السافل. فكان مع حبه لدينه يحترم ديانات الآخرين ويبذل استطاعته في سبيل التوفيق بين ابنائهـا. واي دين يحتم على الدائنين به ان يبغضوا مخالفيهم ؟؟؟

ومن نتائج تدينه انه كان حريصاً على القيام بواجبه مقدّرًا كل شخص قدره غير باخس احدًا حقوقه وهو القائل:

شؤون ذوي الشأن مرعيّةٌ ولو أعلَت الارض انذالها
ولا يرفع النسلَ الّا ذووه فلا تبخس الناس اعمالها

وكان قليل الوعد حريصاً على الوفاء لا يعد حتى يعلم من نفسه المقدرة على القيام بوعده. وقد قال في ذلك:

وفي الصدر فاحفظ وعُودك دهرًا او اقطع لسانك إن قالها

وكان في اعماله ومصالحه نزيهاً ابيَّ النفس يكره المهلأة والخداع واستعمال الاساليب المعيبة في سبيل الحصول على وظيفة عالية او لقب مجيد او مال غزير. وقد ابت عليه نفسه الكبيرة الصغر فلم يتذلل قط في حياته وهو القائل:

كفاك عفافٌ على عزّةٍ تؤيد بالفضل إخلافها
ولا تمنِ رأساً ولا تُدنِ نفساً تقطّع بالذلّ ارصالها (١)

وهو لم يلزم الحياد فقط في مثل هذه الامور بل كان يرفض الالقاب والاوسمة. وهذا امر يعرفه كل من كانت له ادنى علاقة بالبستاني. ومن حديثه مع السلطـان محمد رشاد ان الخليفة اراد ان يمنحه لقب باشا مكافاةً له على خدماته في سبيل الدولة

١) راجع مجلة الآثار (٣[١٩١٣-١٩١٤]: ٢٩٧-٢٩٨).

فاعتذر سليمان بلطف قائلاً انه « ديموقراطي في بلاد ديموقراطية » . واذ صار وزيراً أجبر السلطان على ان يأمره امراً بقبول الادسة المختصة بالوزارة فقبلها ولم يُشِرْ اليها الا قليلاً في بعض المواقف الرسمية وكان يتحاشى جهده إظهارها

وكان ابغض شيء لديه الرشوة والمخاتلة يعتبرهما كعدوَّيه اللدودَين . وكان غاية امانيه ان يعمل واجبه فيخدم وطنه وأمَّتهُ بصدق واخلاص وعفة تراح اليها نفسهُ الكبيرة ولو قادته تلك العفة الى الفقر . وقد قال فيه الشاعر محبوب الخوري الشرتوني :

كنتَ الوزير وكنتَ المستشار فلم تَمدُدْ يديك الى مالٍ ولا نشبِ
ايَّامَ كفُّك في الالقاب مطلقة لكن عففتَ فلم تطمح الى لقبِ

ثم قال وفي قوله عظة يجدر بنا ان نستفيد منها :

قم خبِّر النشء في لبنان كيف جرت بك المطامحُ ترجيها الى الرتبِ
ما ان هززتَ امام العرش مبخرةً ولا خدمتَ لما ترتاد من ارب
ولم تقف قط في ابواب مقتدرٍ ولم تعفِّر جبينَ النُّبل في عتبِ
وا لوعتي ليس في لبنان مدرجةٌ الى العلى غيرَ حدِّي الراس والحدبِ

وكان للفقيد في ادارته من حصافة الرأي وبعد النظر ما نراه في باب رجال السياسة

٣ تواضعه — سعة صدره — لطفه ورقته

كان ما ازداد في العلم صعودًا زاد فيه اتضاعُهُ عن سدادِ
كلما من السنابل ما ازدا دَ امتلاءً حنى بتدر ازدياد

(الخوري بشارة ابو هنا)

من صفات العلماء الحقيقيين التواضع والدعة وقلة الادّعاء . ومن صفات ذوي الصبغة السطحيَّة التبجّح والثقة بعلمهم ومعرفتهم . ولمَّا كان البستاني من اكابر العلماء احبَّ ان يماثل تواضعُهُ علمَهُ . وان اصدقاءه ومعارفه ليروون عنه كلَّ نبذة يقف الانسان حيالها حائرًا خجلاً من نفسه . . . ولم يكن تواضعه تصنعاً كما ياتيه البعض فيشوّهون به هذه الفضيلة السامية بل ذلك في طبيعته يظهر بكل بساطة واخلاص كما لاحظ جميع من عرفه او سمع عنه . ودونك ما كتبهُ في مقدّمة كتابه عبرة وذكرى (ص ١٠)

ولم يكن المؤلف دخل محيط السياسة بعد :

« وانا وان لم نكن من ابناء السياسات فانَّ علينا فرضاً يترتب قضاؤه وهذه دَلْوُنا بين الدلاء . . . »

واي تواضع اكثر طبيعيَّةً وبساطة من قوله في مقدمة الالياذة (ص ٦٨) بعد ان ذكر مطالعاته شذرات بعض الملاحم وبعض منظوماته القصصيَّة التي كان يلهو بها في صباه

« فلما حكمتُ نفسي واصبحت متصرفاً مطلقاً في استعمال اوقات الحلة ادركت انني لم اعرف شيئاً مع سابق الظنّ بسعة الاطلاع فانتهيت الى حيث كان يجب ان ابتدئ »

هذه عظة مفيدة يجب ان ينقشها بماء الذهب كتَّابنا وعلماؤنا المدَّعون وهم كثيرون . . .

ومن آيات تواضعه ايضاً ما رواه عنه السيد اسعد الملكي وكان قد خطب مرحّباً به في المأدبة الفخمة التي أقيمت تكريمه في نيويورك سنة ١٩٢٤ قال (الهدى عدد ١٤ تموز ١٩٢٥) :

« قلت فيه ما لا يزال اذكر منه بعض : « ان البستاني هو العربي الوحيد الذي بدَّد اموانه وعمره وصحته في خدمة العلم بل في خدمة امته ولم تُعدْ عليه تلك التضحيات بجزء من مليون جزء مما يستحقه علمه وعمله . فلو وُجد البستاني في احدى البلدان الغربية لاستغنى من علمه واثرى من قلمه . ولنُصب له مواطنوهُ تمثالاً راسه من الفضة ودماغه من الراديوم وعيناه من الماس وعنقه من الياقوت وصدره من الذهب وذراعاه من الفولاذ واصابعه من العاج تخليداً لذكره وقياماً بحق شكره »

(قال الكاتب) : « فبعد انتهاء الحفلة امسكني بيدي وقال : « ان وصفك للتمثال الذي اردتَهُ لي جميل جدًّا ولكنك اردت ان تكبّرني في عيون الناس فصغرتني في عيني نفسي »

وكان رحمه الله مع تواضعه واسع الصدر طويل الاناة كثير الحلم عارفاً بنقائص البشر غفوراً لها اذا ذمَّه احد وهو من القليل النادر وأُخبر بذلك تبسَّم وقال والشعر له :

وخلِّ الحسودَ على كبده فانَّ من النار أكلها
اذا البرْض زينَ بطيب الفعال وسوء المطالب ما طالها
فلست ابالي بقبلي وقال ولو سنَّت الألسُن انبالها

قال علي بن ابي طالب : « ثلاثة من كنوز الجنة : كتم العلة وكتم الحسنة وكتم

المصيبة» فاذا صحّ ذلك كان البستاني نائلًا هذه الكنوز بما كتمه في صدره الرحب الواسع . . . فكم علّة تحمّلها بصبر غير مقلق الجمهور بترديد ذكرها ! وكم حسنة اتاها تحت ستر الخفية ! وكم مصيبة مالية او ادبيّة تصبّر لها بلا امتعاض ولا تذمّر ! والله اعلم هل كان موفّقًا بتجاراته او سعيدًا في داخليّة بيته !!!

ومن طبائعه انه كان لطيف المحادثة رقيق الجانب بشوشًا لا يدّعي ولا يتبجّح ولا يحب كثرة القول بل كان «يؤثر الصمت والتفكير على الكلام والمباهاة فلا يحدثك بحديث الّا اذا استدرجته اليه فيأخذ الكلام طلقًا شهيًا وتقف انت امامهُ معجبًا بسعة اطلاعه مثلًا بخمرة بيانهِ تحاذر ان يتمّ حديثه فتفوتك لذته وتُحرم طلاوته» (١ وقال فيه خليل مطران :

خُلُق ثابتٌ ولفظ رقيقٌ وفؤاد طودٌ وطبعٌ نسيمُ

وكان يكلّم كل انسان بحسب محيطه ومعارفه وهي خلّة قلّما اتّصف بها العلماء اذ يأخذون ببسط آرائهم العلميّة والفلسفيّة امام جمهور لا يدرك منها شيئًا . زارونا رحمه الله مرةً في دير القمر سنة ١٩٠٨ فاقبلت عليه عجوز بسيطة القلب من ذوات القرى تتهلل فرحةً به ولما وصل اليه قالت :

«تقبرني قديش سافرت بزمانك وقطعت بحور وجبال . . . حاجتك ما حلّك تتعب وتستريح» . . . (فابتسم واجابها ببساطة تعادل بساطتها) : «نعم يا مراة عمي سافرت كتير ولكن ما كنت روح ماشي» . . .

ونشاهد هذا اللطف في كل محادثاته ورسائله . . من ذلك ما كتبه الى السيّد اسكندر شمعون صاحب جريدة السلام في الارجنتين وهو اذ ذاك عضو مجلس الاعيان . قال في بدء رسالته (في ٤ شباط ١٩١٠)

«شكرًا لكم على ما ابديتم من حسن الظن بي في كتابكم رقم ٢٦ ك ١ وان غاية ما تطمح اليه نفسي ان يتيسّر لي القيام حق القيام بالخدمة التي انتُدبت اليها . . .» (وختمهُ بقوله : «هذا ما يسعني الآن ان اكتب اليكم واثقًا انكم وجميع اخواننا واخواتنا المهاجرين والمهاجرات لا تزالون تنظرون الينا بالعين التي تنظر بها اليكم — سليمان البستاني»

وكان شديد الحرص على عفّة لسانه لا يقول الّا الصدق ويحاسب نفسه على

١) بولس غانم : من هو سليمان البستاني — لسان الحال في ٣ — ٦ آب ١٩٢٥

لفظة فلا يقول جزافاً في جدّ ولا هزل . لا يغتاب ولا يسمح بالاغتياب . لا تخرج الكلمة من فيهِ الّا موزونة محكمة كانه سيحاسب عليها في مجلس القضاء» (١ وكان يتجنب كل كلمة تخدش ولو قليلاً ارقّ الآذان والطفها فلا يقولها ويظهر الاشمئزاز اذا قيلت امامه . وكان ابغض شيء لديهِ ادخال الكلم البذيئة في المحادثة وكثيراً ما لام في كتاباتهِ بعض شعراء الجاهلية والاسلام لبذاءتهم (٢ وذلك مع حبه لشعرهم

٤ قلبهُ

قَتَلَ البستانيَّ قلبهُ ! (نعوم مكرزل)

هنا يقف القلم بتهيُّب واجلال ، امام هذا القلب الكبير الطافح . امام اجلّ مظهر من مظاهر الكمال في ايامنا . . . وماذا اقدر ان اقول عن قلبه الطاهر المحب المخلص المتفاني في خدمة القريب . . .

كان قلب البستاني كبيراً فأحبَّ كثيراً ، واخلص كثيراً واشتغل كثيراً . احب وطنه واحب قومه واحب اهله . اما محبته لوطنه وخدماته العديدة في سبيله فنذكرها في باب رجل السياسة . واما حبه لقومه واخلاصه لهم وتفانيه في خدمتهم فظاهر في كل اعماله واقواله واصح شاهد عدد صدقاته الكبير وما كان لهم فيهِ من الثقة العمياء وما كان له في قلوبهم من المنزلة العالية . فكانوا يأتونه باسطين لديهِ اعمالهم ومشاريعهم وافكارهم حتى اسرارهم الداخلية وهمومهم المنزلية فيقبلها بكل لطف ويعطيهم النصائح المخلصة والآراء الصائبة . وقد رأيناه اذ كان في المدرسة ينصح رفاقه بكل اخلاص وهو بعد خروجه منها لم يغيّر شيئاً من عاداته هذه . وكان للصداقة في عرفه معنى سام لا يفهمه الّا كبير القلب وسليم الطوية . وكم رأيناه يبذل ماله ويعرّض بنفسه في سبيل صديقه . . .

كان في بغداد سنة ١٨٨٩ وله فيها صديق اتاها وحيداً فنزل في احد الفنادق . وكان أن داهمَ بغداد في صيف تلك السنة مرض الهيضة (الكوليرا) فهرب بعض اهلها الى الضواحي حيث نصبوا خيامهم على ضفاف دجلة شرقاً وغرباً وكان الفقيد

١) جرجي زيدان : سليمان البستاني — الهلال (١٧ [١٩٠٨] : ١٧١—١٨٠)
٢) راجع مثلاً شرح الالياذة — نشيد ٣ ص : ٣٦٥-٣٦٦

من جملتهم فترك المدينة وخيّم غربيّها على بعد عشرة كيلومترات . وما مضت مدة حتى أخبر بان صديقه المذكور آنفاً اصيب بالمرض المشؤوم فسار مسرعاً الى الفندق فاخذ الصديق الى منزله حيث عالجه رغم تحذير الاطباء . . . وقد اخبرني بهذا شقيق ذاك الصديق

ووردني من سيادة المطران اثناسيوس اغناطيوس نوري(١ انه أصيب بذلك الوباء «المدعو توماس بن ارتين ابكيان الارمني وعمره نحو ١٥ سنة فتباعد اكثر المخيمين عن المصاب وانتقلوا الى مكان آخر . اما الفقيد فمكث يمرضهُ ويعزّي والديه وقد فاضت روح الفتى وهو على صدره . وتحدثوا بمروّته هذه في كل العراق»

وفي العراق ايضاً احتال بعض المقربين اليه فاخذ اموالاً كثيرة على اسمه وهرب ولمّا استحق المال الى الدائنون سليمان ولا علم لهُ بشيء فدفع كل ذلك واخفى الامر

واذ كان في شيكاغو سنة ١٨٩٣ طلب اليه احد اصدقائه مبلغ الف ليرة لتحسين تجارته في تلك المدينة فاعطاه فكتب لهُ الصديق كمبيالة بالقيمة . وبعد مدة حصلت ازمة شديدة قضت على اموال ذاك الصديق . . . فمزّق سليمان الكمبيالة ولم يعلم احد بذلك . وخسر هو ايضاً في ذاك المعرض المشؤوم خسارة تقدَّر بخمس وعشرين الف ليرة . وكان له شركاء في المعرض فابى ان يشركهم بالخسارة

يتذمّر البعض عند قراءة هذه الحوادث ويقولون ان ذاك تهوُّر لا لزوم لهُ . فهم يقولون ذلك لعدم فهمهم معنى الصداقة ومحبة القريب المخلصة . ومن آثارها في قلب الفقيد انه كان حسن الظن بجميع الناس لا يشكّ في احد الّا اذا أُجبر على ذلك

---

١) نشكر سيادتهُ على ما افادنا عن شركة المراكب التي ذكرناها (في المشرق ص ٧٨٦) فقلنا انها كانت عثمانية «خديوية» والصواب انهُ لم يكن دخلٌ فيها للخديويّة . ومن افادات سيادته انَّ الفقيد لم يتزوّج من ابنة انطون البغدادي الكلداني كما رويناه (ص ٧٨٦) بل من ابنة «بربوس الارمني البغدادي واسمها مريم وخالها انطون يوسف عبد المسيح البغدادي الكلداني» — وقد نبّهنا حضرة الشيخ عبدالله البستاني الى ان سلوم جدّ الفقيد لم يكن شقيق المطران بطرس كما ذكرنا (ص: ٧٨٠) بل شقيق المطران عبد الله بن نادر . وعليهِ يكون نسب المترجم هكذا (راجع الصفحة ٧٨٠ سطر ١٧): سليمان بن خطار بن سلوم شقيق المطران عبد الله بن نادر بن ابي يوسف ناصر . . . ابن ابي محفوظ البستاني . اما المطران بطرس فهو ابن الخوري يوسف بن شلبي شقيق المطران عبدالله وشقيق سلوم ايضاً . فلهُ خالص شكرنا

بمعاملاته بعد تجربة اخلاصه غير مرّة . وكان فاتحاً قلبه كل ساعة لقبول المرتشفين من منهله فيعطيهم الارشادات والافادات المختلفة سواء تعلّقت بالتجارة ام بالآداب او بالنفس . وكثيراً ما خفّف من غلواء الكتّاب والشعراء العصريين في مصر وارجع المتطرّفين الى سواء السبيل فمشوا فيه شاكرين

وقد اكتسب بهذه الصفات حبّ الناس واعتبارهم وامتلك جميع القلوب فاجمعت على اكرامه . وقال عنه المرحوم جرجي زيدان وكان من اصدقائه المنتفعين بنصائحه :

« . . . فنراه على علوّ كعب في العلم ليس له حسّاد ونرى اصحابه مجمعين على تعظيمه . فلما نشر الياذته احتفلت التراتة السورية باكرامه بوليمة ذاع ذكرها في الخافقين وهو اول احتفال علمي بالشرق واصبح الاحتفال بالعلماء بعده عادة متّبعة . ولمثل هذه المناقب انتخبه البيروتيون في انتخابه . فكان اول من جمعهم على خيره (١

ومن قضائيه في حبّ بني قومه واخلاصه لهم انه كان في نيويورك حتى آخر ساعة من حياته ينظم بلغة بسيطة ساذجة امثالاً مأثورة عن ايزوب ولافونتين كي يتعلمها صغار اللبنانيين . . .

أما حبه لاهله فحدّث عنه ولا حرج . تقدر الانسان ان يتوسّع فيه ما شاء ولا يبالغ ! كان ذا عاطفة حيّة وحاسّة عالية في الرقة والحنو وكان براً بوالديه حتى التضحية لا يبخل بنفسه لارضائهما في هذه الدنيا وتعزيز ذكراهما في الآخرة . ودونك مثلاً يبرهن عن ذلك

كان رحمه الله في مصر اذ انتهى من تعريب الالياذة وانتشر الخبر بعزمه على طبعها . فاتاه احمد شوقي بك شاعر الخديوي السابق موفداً من قبل مولاه . فطلب الى المعرّب ان يقدّم كتابه الى الخديوي عباس حلمي ووعده بكبير المكافأة . فاعتذر بكل لطف . فتعجب شوقي وساله مختاراً غير متصور كيف يرفض انسان مثل هذا الطلب : « والى من اذن ستقدمه ؟ إلى وزير خطير ؟ ام الى عالم كبير ؟ ام انت مهديه الى سدة احد الملوك العظام ؟ » فاجاب المترجم : « لا الى هذا ولا الى ذاك بل الى من هو اعزّ عليّ من جميع من ذكرت » . فدهش شاعر مصر وقال : « ومن هو هذا الرجل الكبير ؟ » فاجاب : « هو رجل له وحده عليّ الفضل الخالد . . . » . ولم يمض

١) جرجي زيدان : سليمان البستاني - الهلال ١٧ [١٩٠٨] : ١٧٦ - ١٨

القليل على ذلك حتى صدرت الالياذة الكبيرة ويصدرها رسم خطّار سلوم البستاني وتحته هذه العبارة الخالدة :

« اليك يا والدي أهدي كتابي هذا فانت اولى به من كل حيّ وميت وما هو الّا ذرّة من فضلك وجزء من عنايتك بينيك وتفانيك بنفع ذويك وبني جلدتك . فان عجزتُ عن اداء واجب الوفاء بحياتك فلا اقلّ من ان اشهر الملا على عرفاني جميلك وانت في عالم الارواح »

وكل تعليق يقصّر في ايفاء هذه العاطفة حقّها !

هذا مظهر من مظاهر قلب البستاني الكبير الرقيق الذي يجعل المرء يتأسف على خسارته اكثر من تأسفه على رجل العلم والسياسة والادارة . . . ولربما لو كان البستاني انانيًّا غليظ القلب محبًّا لراحته نابذًا منفعة غيره لربما عاش طويلًا . ولكن بئس الحياة حياة لاينفع بها الانسان قومه ووطنه . . . ولا غروَ بعد ان درسنا هذا القلب اذا قلنا مع السيّد نعوم مكرزل :

« مات البستاني من قلبه ! قتل البستانيَّ قلبهُ ! والقلوب الكبيرة تقتل اصحابها لانها تشتمل كثيرًا وتحب كثيرًا وتعطف كثيرًا فمتى نفد ما جا او كاد في سبيل الورى انفلت فسكنت تلك الحركة الخافقة »

هذا هو البستاني بقلبه الكبير وهو في عرفي اقرب الينا ، اقرب الى قلوبنا من البستاني عالمًا والبستاني سياسيًا والبستاني وزيرًا . ومن كان قريبًا الى القلوب فهو حيٌّ بحياة القلوب

٥ مهابته وجلاله

عزمٌ شديد تديّنٌ صحيح تواضعٌ وسعة صدر محبةٌ خالصة وقلبٌ كبير ونية سليمة كل ذلك كان في البستاني فزيّنه بمهابة يقف امامها الرجل فلا يسعه الّا الاكرام . وزاده الكبر والشيب وقارًا وجلالًا رفعاهُ الى اسمى مقام في عيون خلّانه واصدقائه وكل معارفه فاصبحوا يستفيدون من تعليمه وهم كالاحداث البسطا . . . ولنا من كتابات ادباء اميركا الذين عرفوه حتى مماته ولامسوا روحه الطاهرة اصدق دليل : قال السيد نعوم مكرزل في «هداه»

« من الناس من يجروه اصدقاؤهم عليهم بعد معاشرتهم الطويلة وتسقط كل كلفة عند التهم -

اما الفقيد الكبير فكان كلما طال العهد في معاشرته كلما زاد الاعتبار والمحبة له» (١)

وقال السيد ميخائيل نعيمه بعد ان تحدّث اليه :

«وكبرَ محدثنا في عيني حتى خجلت من نفسي لانني لم اقدّره كل قدره لاول نظرة القيتها عليه . . . انني وحدته من الرجال الذين قد تراهم بين الجماهير فلا يستوقفون بصرك بشيء لكنك اذا اجالستهم في مجلس تأتلف روحه مع ارواحهم . يفتحون قلوبهم ويبسطون افكارهم فتحسّ انك في حضرة من اصطفتهم الحياة آنية لجانب من جزيل خيراتها وثمين هباتها» (٢)

ونختم هذا القسم بما ذكره في جريدة السائح في عدد ٢٢ حزيران السيّد جبران خليل جبران وكان ملازماً للفقيد حتى موته قال :

«من منا عرف وجلا في السبعين اذا مدحه احد على عمل تورّدت وجنتاه حياء كان لم يزل صبياً في السابعة واذا لامه احد لانه انصرف عن العلم والادب الى السياسة يقول مكتئباً : «نعم قد اسأتُ الى نفسي على انني ارجو انني لم أسئ الى احد . .»

«لا انسى ولن انسى ليلة جمعني وسليمان البستاني بعض الاصدقاء حول مائدة انيقة . وبينما نحن نتباحث في الفن والادب التفتت اليّ سيدة ذات منزلة معتبرة وقالت لي : «انا اجهل اللغة العربية ولا اعلم شيئاً عن السياسة الشرقية لذلك لا استطيع معرفة قدر هذا الشيخ الجليل ولكنني لما صافحته وابتسم لي تمنيت لو لم يمنعني الخجل عن تقبيل يده . .»

«وبعد يومين زرتُ البستاني ورددت على مسمعه كلمات تلك السيدة فلم يقل كلمة قطّ بل ظهرت على شفتيه تلك الابتسامة الحلوة ثم تساقطت دموعه السخيّة على لحيته البيضاء . . . تلك دقيقة نادرة ابانت لي حقيقة البستاني بكل ما في تلك الحقيقة من السذاجة والاحتشام والرقة تلك دقيقة تعني فيها البستاني اكثر مما لا يقاس من اي كتاب وضعه ومن اية قصيدة نظمها»

(لها بقية)

---

١) الهدى في ٩ حزيران ١٩٢٥

٢) ميخائيل نعيمه : سهرة مع سليمان البستاني – السائح في ٢٢ حزيران ١٩٢٥

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٣ صاعد بن شمّاس

﴿زمانهُ ودينهُ﴾ ورد ذكر صاعد بن شمّاس في رحلة ابن بطلان ومنهُ نُستدل على زمانهِ وعلى دينهِ ووطنهِ . وقد مرَّ بك انَّ ابن بطلان عاش في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح . امَّا ما قال عنهُ ابن بطلان فورد في معجم البلدان لياقوت (٢ : ٣٠٧) في مادَّة « حلب » قال ابن بطلان : «وفيها (اي حلب) كاتبٌ نصرانيّ لهُ في قطعةٍ في الخمر اظنه صاعد بن شمّامة (كذا)»

خانت صوارم أيدي الازجين (١ بها فأبتْ جسمها دمًا من الحَبَبِ

فقوله «صاعد بن شمّامة» قد اصلحهُ ناشر كتاب معجم البلدان في فهرس الاعلام (٦ : ٤٧٦) ودعاهُ «صاعد بن شمّاس» ويحيل هناك الى الجزء الرابع (ص ٨٠) حيث يروي ثلثة ابيات انشدها «ابو زياد لصاعد» دون زيادة في التعريف ولعلّها لصاعد آخر غير ابن شمّاس فظنّ ناشر الكتاب انها لهُ . فنرويها هنا على علّاتها وهي واردة في مادَّة «قَرينة» اسم روضة او وادٍ قال (من الوافر) :

ألا يا صاحبيَّ قِفا قليلًا على دار القدورِ فحيّاها

ودارٍ بالشُّمَيط فحيّيا بي ودارٍ بالقَرينة فاسألاها

سقتها كلُّ واكفةٍ هتونٍ تُرَجّيها جَنوبٌ او صَباها

فدارُ القدور والشُّمَيط والقُرينة كلّها امكنة في البريَّة . وهذا غاية ما عرفنا عن صاعد المذكور

(١ كذا في الاصل بالحاء ولعلّها «الازجين» بالجيم

١٤ عون الراهب

﴿ زمانهُ وشعرهُ ﴾ ورد ذكرهُ في كتاب زهر الآداب وثمر اللباب لابي اسحاق الحصري القيرواني فاستدللنا بذكره فيهِ انهُ كان من ادباء القرن الحادي عشر للمسيح سبق الحصري المتوفى سنة ٤٥٣ للهجرة الموافقة للسنة ١٠٦١ للمسيح . وقد روى لعون الراهب ابياتاً في مديح الغراب ردًّا على من يتشاءم بهذا الطائر فقال (في الطبعة المصرية على هامش عقد الفريد لابن عبد ربهِ (٢ : ٨٤) وفي الطبعة الجديدة (٢ : ١٧٠) (من الكامل) :

غلطَ الذين رأيتهم بجهالةٍ ... يلحون كلَّهُم غراباً ينعَقُ
ما الذنبُ إلَّا للأعاير انهـا ... مما يُشتُّ جميعهم ويفرّقُ
انَّ الغراب بيُمنهِ تدنو النوى ... وتُشتِّتُ الشَّملَ الجميعَ الأينقُ

وقد بحثنا كثيراً في كتب الادباء وتراجم القدماء لنقف لعون المذكور على اثر فخاب رجاؤنا

١٥ ابن مَرْغَر الاشبيلي

﴿ زمانهُ ودينهُ ﴾ ابن مرغر هو ايضاً من شعراء القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح . وقد ورد اسمهُ على صور شتَّى فيُروى ابن مَرْغري وابن المرغوي وابن المزعري وابن المغربيّ . والصواب ما ذكرنا . كان في ايّام الملك ابي القاسم محمّد الملقَّب بالمعتمد بن عبّاد وهو آخر ملوك العبّاديين في اشبيلية حاضرة الاندلس ملكَ من السنة ٤٦١ الى ٤٨٤هـ (١٠٦٨—١٠٩١م) . وكان ابن مرغر من نصارى الاندلس لا شكَّ في الامر

﴿ اخبارهُ وشعرهُ ﴾ اخبارهُ قليلة وجدنا منهـا شيئاً في مخطوطات مكاتب اوربّة الشرقيّة . فمن ذلك ما جاء في كتاب اخبار الملوك ونزهة المالك والمسلوك في

طبقات الشعراء (Ms de Leide, 834, II p. 288) للملك المنصور امير حماة المتوفى سنة ٦١٧ (١٢٢٠م) قال (ص ٢٤٧–٢٤٨) : «ابن مرغر من نصارى الاندلس من اهل اشبيلية . قال الشيخ ابو عبّاس شهاب الدين احمد بن يحيى بن الفضل العمري في كتاب مسالك الابصار من ممالك الامصار : ابن مرغر النصراني مُجيدٌ على ما عُرف من مُدامه ، وعُلم منهُ من جهلٍ ما فاكَّ عنهُ فِدامه ، وقد تردّى القلب (١ وهي عِماد ، وتنطّق الاوتاد وهي جماد ، وتُضيءُ النار وهي من حطب الى رماد ، والحمامةُ وهي عجماء قد تسمَعُ ، والغمامة وهي طُلّةٌ تُستنجَع »

ثمّ انشد لهُ يصف كلب صيدٍ . وهي ستة ابيات رويت في نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (٢ : ٤٩٦) فقال : « حُكي ان ابن المرغوي (كذا) النصراني الاشبيلي اهدى كلبة صيد للمعتمد بن عبّاد وفيها يقول (من المنسرح) :

لم أرَ مَلهًى لذي اقتناصٍ (٢ ومكسباً مُقنِع الحريصِ
كمثل خطّارِ ذاتِ جيدٍ أتلعَ في صفرة القميصِ (٣
كالقوس في شكلها ولكن تنفذُ (٤ كالسهم للقنيصِ
ان اتخذ أنفها دليلاً دلّ على الكامن العويصِ
محبوكةُ الظهر لم يَخِبهُ لخوف بطن لها خميصِ (٥
لو انها تستثير برقاً لم يجد البرقُ من محيصِ

قال (ومنها في المديح) :

يشفع تأميلهُ (٦ بودٍّ سَفعَ القياساتِ بالنصوصِ

وقد روى لهُ عماد الدين الاصفهاني في كتاب خريدة القصر وجريدة اهل العصر

١) كذا في الاصل . ولعلّ الصواب تروّى القُلُب وهو جمع قَليب اي البئر وتروّى كمثل رَوِيَ ٢) ويروى : لدى اقتناص
٣) ويروى : كمثل خطّاء . . اتلع عن صفرة . واتلع عن صفرة
٤) ويُروى : ينفذ ٥) ويروى : لم يخنهُ . . بها
٦) ويروى : تنويلهُ

(Ms de Paris, n° 3330, fol. 175r, de Londre, 574) غيرها من الابيات.
منها قولهُ في المديح (من الكامل) :

واللهُ اكبرُ انت بدرٌ طالعٌ والنَّقعُ(١ دجنٌ والكماةُ نجومُ
والجُرْدُ افلاكٌ وانت مُديرها وعدوُّك الغاوي وانت رجومُ(٢

وقال في قوم بات عندهم فلم يرتدوا لهُ سراجاً (من البسيط) :

نزلتُ في آل مكحولٍ رضيفهمُ كنازلٍ بين سمع الارض والبصرِ
لا تستضيءُ بضوءٍ في بيوتهمُ ما لم يكن لك تطفيلٌ على القمرِ

وقال يمدح كريماً رطّب لسانهُ بكرمهِ وشحذ قريحتهُ في مديحهِ (من البسيط) :

انطقتني بالنَّدى حتى سرى نَفَسي كما تنفَّس في الأنداء رَيحانُ
وغاص في بحر نعماك المحيطِ بهِ فهذهِ دُرَرٌ منهُ ومَرجانُ

١٦ زَبينا النصراني

﴿زمانهُ وشعرهُ﴾ زبينا اسم سرياني بمعنى المبيع والمملوك. كان في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح. ذكرهُ الراغب الاصفهاني (المتوفى سنة ٥٠٢هـ ١١٠٨م) في كتابهِ محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء وروى لهُ شعراً (١: ١٩٦) في باب الرجل الموصوف بكثرة المساوئ بعد ذكرهِ لقول الاخطل :

قومٌ تناهى اليهم كلُّ فاحشةٍ وكلُّ مخزيةٍ سُبِّتْ بها مُضَرُ

قال زبينا النصراني (من البسيط) :

لي صاحبٌ لستُ أُحصي من محاسنهِ شيئاً صغيراً ولا تُحصى مساويهِ(٣

١) ويروى : والنقع بالفاء.
٢) ويروى : والجودُ . . . ومنْ رجوم
٣) في الاصل : احصي. وهو غلط لاختلاف القافية

وليس فيهِ من الخيرات واحدةٌ واكثرُ السوء لا بل كلُّهُ فيهِ

وقد نقّبنا عن زبيدا هذا لنعرف شيئاً من اخبارهِ فلم يُجدنا التنقيب شيئاً

١٧ ربيب النصراني

﴿زمانهُ وشعرهُ﴾ ربيب النصراني هو ايضاً من الشعراء الذين نقل عنهم بعضَ مقاطيع اشعارهم الراغبُ الاصفهاني في كتابهِ «محاضرات الادباء» وبهِ عرفنا زمانهُ اي انهُ من شعراء القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح. وفي غير هذا الكتاب لم نجد لهُ ذكرًا ولعلَّهُ هو زبيدا السابق ذكرهُ فيكون اسمهُ مصحَّفاً. امَّا ما رواهُ عنهُ فهو بيت مفرد ذكرهُ في باب «المغالاة بما لا يقلّ وجودهُ» (١: ٢٩٢) قال ربيب النصراني (من البسيط):

وكلّ شيء غلا او عزَّ مطلبهُ مُسترخصٌ ومُهانُ القدرِ إن رَخصا

١٨ سعيد النصراني

﴿زمانهُ وشعرهُ﴾ سعيد النصراني هو الشاعر الثالث الذي اوقفنا عليهِ الراغب الاصبهاني في محاضراتهِ فأفادنا انهُ عاش في زمانهِ اي في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح ولم يزدنا علماً امَّا شعرهُ فلم يرِد منهُ الَّا ثلثة ابيات في باب «مزاورة الحبيب وملاقاته والنظر اليهِ» (٢: ٦٤) قال سعيد النصراني (من الخفيف):

وَعد البدرُ بالزيارةِ ليلًا فاذا ما وَفى قضيتُ نذوري
قلتُ: يا سيِّدي ولِمْ تؤثر الليـ ـل على بهجة النهار المُنيرِ
قال: لا استطيعُ تغييرَ رسمي هكذا الرسمُ في طلوع البدورِ

وقد بحثنا بدون جدوى عن سعيد النصراني المذكور في الراغب فلم نتوفَّق الى معرفة شيء من اخبارهِ في سائر الكتب التي راجعناها (الَّا صلة)

سياحة رسولية في بلاد حوران

بقلم حضرة الاب فردينان توتل اليسوعي

تقدَّم الينا الرؤساء اجابةً الى دعوة خاصة من السيد الفضال المطران نيقولاوس القاضي رئيس اساقفة بصرى وحوران ان نقيم الرياضات في جهات حوران في زمن الصوم الاربعيني فكان ختام الرياضة في ازرع صباح ٢٩ آذار الماضي فاحتفل سيادته بالقداس الحبري في كنيسة مار الياس القدمى الشهيرة ووزَّع بيده على الاولاد الصغار جسد المسيح لاوَّل مرة. ولاوَّل مرة برز الاولاد امام اهاليهم بالحلل البيض واكاليل الزهور التي جاءت بها من دمشق راهبات القلبين الاقدسين بقصد الحفلة

ثم خرج المطران من الكنيسة فشيَّعه القوم الى بيت آل عزّام واخذ الزوَّار يتوافدون عليه من كبار وموظفين ومسيحيين ومسلمين ونحو الساعة العاشرة والنصف دخل « الضافة » رسول وانبأ بقدوم امير الدروز الاكبر حمد باشا الاطرش

فبدت على وجوه الحاضرين لوائح همّة تبيَّنتُ منها ان القادم ليس كسواه من اهل القرى. وما كانت دقائق الَّا شخص امامنا رجل قد بلغ اشده معتدل القامة متزيٍّ بزيّ الافرنج ما عدا الطربوش والكوفية الحريرية البيضاء التي كانت تلثم عارضيه فيبدو من هالتها وجه اسمر بعينين براقتين وشوارب سود غليظة

فقام المطران ورحَّب بالامير وقبَّلهُ على وجنتيه واجلسه عن يمينه واصطفَّ في مدار المكان المعيَّن من مشايخ واعيان مقدَّمين للاسقف المسيحي واجب الولاء وعبارات الاخاء لما له من الفضل على الدروز الساكنين ابرشيتهُ لانه كان تدخَّل بينهم وبين الاتراك مرارًا منعاً لسوء التفاهم وسفك الدماء وتمهيدًا لسبل الوئام وحسن الاتفاق

*

ما مضت على ذلك اليوم المشهود اربعة اشهر حتى انقلبت الاحوال ظهرًا لبطن. طارت شرارة الفتنة من الجبل الى حوران فاضرمت نيران الحرب وباتت قرية ازرع مركزًا لجيش الانتداب يحمل منهُ على العصاة وغدا المسيحيون الحورانيون يوجل

وضيق لا يعرفون الى اي فئة ينضوون . وقد تشتت شمل الكثيرين منهم وأحرقت غلاتهم ونهبت بيوتهم وسُلبت امرالهم . فهاجروا الديار الى دمشق او الى درعا حرصاً منهم على الارواح

تلك حوادث جبل الدروز المشؤومة التي اخذت منذ اسابيع تقلق البلاد السورية وتلفت الحاظ اوربة . وقانا الله سوء عواقبها واخمد لظى نيرانها فيعود بالقريب العاجل الى بلاد حوران سلمها فيقوى فلاحها على زراعة حقوله وتنبت الارض ما يقوته ويقوتنا فتخفّ وطأة الغلاء الفاحش الذي لم تشهد مثيله البلاد منذ الحرب العظمى

على اننا بمناسبة هذه الظروف رأينا ان ندوّن في المشرق بعض ما جمعناه من الافادات عن ابرشية حوران أيام تجوّلنا فيها لالقاء عظات الرياضات المتروء بها . فسرنا الى تلك الاصقاع لإتمام اعمال الرسالة والقلب ملؤه رغبة الى مشاهدة تلك الانحاء الحافلة بالآثار القديمة والاطلاع على احوال المسيحيين فيها

ثم عدنا الى زحلة مركزنا فعكفنا على مطالعة بعض ما كتبه العلماء في حوران وشؤونها من عرب وافرنج مقتبسين آراءهم متنقّدين في طابعهم فكتبنا هذه الرسالة وقسمناها ثلاثة فصول : ١ لمحة في تاريخ حوران على مرّ الزمان . ٢ احوال ابرشيتها الكاثوليكية الملكية . ٣ اعمال المرسلين اليسوعيين فيها

١ لمحة في تاريخ حوران

اسمها وحدودها

قال ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان :

« حوران بالفتح ويجوز ان يكون من حار يحور حوراً (ومنهُ قولهم) ونعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر اي من النقصان بعد الزيادة »

وان من زار بلاد حوران في ايامنا تحقق ان الاسم لائق بالمسمّى لما فيها من القحط والمحل في مواضع شتى لكن حوران لم تكن هكذا على ايام ياقوت وهو القائل فيها :

« كورة واسعة من اعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرًى كثيرة ومزارع وحرار وما

زالت منازل العرب وذكرها في اشعارهم وقصبتها بصرى. قال امرؤ القيس:

ولما بدت حورانُ والآل دونها نظرتَ فلم تنظر بعينيك منظرا »

فليس اذاً من المعقول ان يكون معنى حوران «بلاد النقصان»

وفي الحقيقة لم يتفق العلماء باجماع الرأي على تحديد معنى كلمة حوران فمنهم من قال انها بلاد المغاور وغيرهم قال انها البلاد السوداء وغيرهم البلاد البيضاء اشتقاقاً من الاصل العبراني (חור) والعربي حورَ اي ابيضَّ. على ان هذه المعاني كلها مقبولة لما في حوران من المغاور التي يسكنها البشر قديماً ولان الحجارة البركانية السوداء كثيرة فيها ولان الثلوج الناصعة البياض تغطي جبالها مدة مديدة من السنة

وفي ايامنا يطلق اسم حوران على البلاد الواقعة بين دمشق شمالاً ونهر اليرموك وجبال جلعاد جنوباً. وبادية سورية شرقاً واراضي الجولان ووادي الاردن غرباً. وتقيس مساحتها تقريباً مئة كيلومتر بالطول وسبعين كيلومتراً بالعرض وتنقسم الى اراضي الغوطة والجدور واللجا والنقرة وجبل الدروز

ومعدل ارتفاع هذه البلاد فوق سطح البحر ٧٥٠ متراً تقريباً وقد حدث فيها قديماً اضطرابات طبيعية عظيمة فهاجت فيها العناصر وانفجرت البراكين وفارت وأزبدت وصبَّت نيرانها وقذفت قذائفها فغشَّت الاراضي برجوم سوداء منها صغيرة متبعثرة بين الرمال والحقول ومنها ضخمة اشبه منها بقطع الجبال يشاهدها المسافر حيثما اتَّجه فتقوم بوجهه وتعرقل سيرَهُ لاسيما في بلاد اللجا حيث شبهوها بالبحر اذا هاج وماج وتجلَّدَ فجأةً فلا تكاد ترى فيها مساحة مترين مربعين الَّا تخالها وعرٌ بين منخفض ومرتفع

حوران قبل العهد الروماني

ورد ذكر حوران في سفر تثنية الاشتراع (٣: ١٣) فسماها ارض باشان (اي مخصبة) ولقبها بارض الجبابرة وكانت تشمل اربع ايالات: مَعْكة في الشمال الشرقي وجشور في الشمال الغربي وارجوب في الجنوب الشرقي وباشان في الجنوب الغربي

وسكنها الاموريون والكنعانيون وكانوا قوماً حاذقين بالفنون والصناعة فينسب اليهم الاثريون الاسد المنحوت بالحجر البركاني الاسود الذي اكتُشف في قرية شيخ

سعد في حوران وهو الآن محفوظ في دار العلوم الافرنسية في دمشق وهو يدلّ على ان اصحابهُ بلغوا من العمران شأوًا بعيدًا لما فيهِ من تناسب الاجزاء واتقان النقش. والمرجّح ان هذا التمثال من صناعة الحثيين

وكانوا يعرفون صنعة الحدادة. وذكر الكتاب المقدس في السفر المذكور اسم الملك عوج فقال عنهُ انهُ «وحدهُ بقي من الجبابرة وسريرهُ من حديد... طولهُ تسعة اذرع وعرضهُ اربع اذرع بذراع رجل». وكان في حوران ستون مدينةً محصّنة لها ابواب ومراتيج (يشوع ٢١: ٢٧). وكان ملك باشان يُقيم في عشتروت وهي من اعظم مدنهم مع ادرعي (درعا) وسلكة (صلخد) وجولان

وقاتل بنو اسرائيل امراء تلك البلاد قبل دخولهم ارض الميعاد وفتحوا «جميع مدن السهل وكل جلعاد وكل باشان الى سلكة وادرعي. وجاء ذكر هذا النصر في الزبور (١٣٤: ١٠–١٢) فقال «هو الله الذي ضرب امماً كثيرة وقتل ملوكاً مقتدرين سيحون ملك الاموريين وعوجاً ملك باشان وسائر ممالك كنعان واعطى ارضهم ميراثاً لاسرائيل شعبهِ».

وشهدت بلاد باشان مواقع دموية كثيرة بين ملوك اسرائيل وامراء دمشق. واجتاحها الاشوريون في القرن التاسع قبل المسيح. وانتصر ملكهم سلمناصر الثاني على حزائيل ملك سورية ودوّن ذكر حملتهِ عليهِ بالكتابات المسمارية فقال:

«قد حاصرتُ حزائيل في دمشق عاصمته وقطعت اشجاره وبانت جبال حوران وهدمت مدنًا كثيرة ودمرتها واحرقتها وغنمت غنائم لا تحصى»

وفي القرن السابع قبل المسيح حمل اشور بنيبال على «أبيادَه» ملك العرب وحاصر سكان حوران وضيّق عليهم فاخضعهم بالجوع

وسار ايضًا الى فتح سورية وحوران قمبيس وداريوس في القرن السادس فاصبحت إيالةً من ايالات الفرس ولم يفسح الاجل للاسكندر وقتًا لمقاتلة العرب فاهملهم ولم يدخلوا في طاعته لكن الملوك السلوقيين توفقوا الى اخضاعهم بمساعدة الرومان

﴿ دولة النبطيين ﴾ وفي ايام الفرس والسلوقيين كان النبطيون وهم في الارجح من العرب قد انشأوا مملكة في صلع (Pétra) بين بحيرة لوط والبحر الاحمر وبسطوا سيادتهم على حوران. وفي السنة ٨٢ الى ٦٢ ولي مدينة دمشق الحارث الثالث الملقب

بحب اليونان وهو احد ملوكهم وكانت مملكة الانباط تنقسم الى مقاطعات صغيرة يحكمها قائد يلقب ستراتيجاً (Στρατηγός). ومما يُعرف عن ديانتهم ما ذكره سترابون الجغرافي (ك ١٦ ف ٤-٢٦) انهم كانوا يقيمون الصلاة على سطوح بيوتهم ويؤلهون ملوكهم بعد موتهم. والشاهد في ذلك الأعلام التي على مثال عبد ملك تضاف الى «عبد» كانهم وقفوا نفوسهم لخدمة البعض من آلهتهم او من ملوكهم المتألهين. اما معبد النبطيين الكبير فكان في عاصمتهم صلع شيّدوه لإكرام الشمس انما كانوا يدعونها ذا الشرى (Dusarés) اي الاله المنير. وبنوا مساجد فخيمة ظهرت آثارها في عاصمتهم وفي جوارها (المشرق ١٣ [١٩١٠]: ٧٨٧)

وقبض النبطيون على زمام التجارة بين خليج العجم والبحرين الاحمر والمتوسط فسيّروا قوافلهم الى اقاصي البلاد حتى الهند (راجع كتاب الاب لامنس عن مكة قبل الهجرة la Mecque. 49). واستعملوا الخطّ لتسهيل المعاملات بين البلدان وعُرفت كتاباتهم بالنبطية فشاعت في انحاء الجزيرة وكان اصلها آراميًا وهي التي طرأ عليها تغيير مع الايام فتحوّلت الى الكتابة العربية

﴿حوران في عهد الرومان﴾ ولم يجهل الرومانيون اهمية موقع سورية الجغرافية وضرورة التملك على بلاد حوران لمراقبة حركة التجارة بين خليج العجم والبحرين الاحمر والمتوسط ففي السنة ٦٤ ق م فتح سوريّة القائد الروماني بومبيوس. فانسحب الحارث ملك النبطيين من دمشق ودفع الجزية للرومان

وفي ايام اوغسطوس قيصر تشكى الدمشقيون من تعدّي لصوص البادية عليهم فعهد العاهلُ الروماني الى هيرودوس بحفظ الامن وولّاه بلاد اللجا (Trachonitis). فكبح هيرودوس جماحهم واقام في البلاد قوة عسكرية مؤلفة من ٣٠٠٠ رجل من الأدوميين

وفي السنة ١٠٦ بعد المسيح توفّي مليخوس (مالك) الثالث اخر ملوك الانباط وزالت دولته وجعل الرومانيون بلاد حوران جزءاً من ايالة «عربيّة» (Arabia) الرومانية وكانت عاصمتها بصرى

وكان اللصوص يغتنمون الفرصة من تضعضع القوة في السلطان ما بين العرب ليعيثوا في الارض فساداً. فكان اوّل ما همّ به الرومانيون انشاء محطّات عسكرية

اضبط البدو وإحراز الامن للبلاد . وقد ذكر المؤرخون اسماء عشر معسكرات اخصّها بصرى وفينه (Phænus مسميه) وتريكوميا (Tricomia صلخد) وهي النقطة العسكرية الاعظم شأناً

وفتح الرومانيون الطرق في حوران تسهيلاً لحركات الجنود الحربية عند اللزوم. منها الطريق الرابطة فينه ببصرى وجرش والطريق الواصلة فيلونه وقناطه (قنوات) بالطريق الكبرى والطريق بين بصرى وصلخد. وقد اكتشف العلّامة شوماخر (Schuhmacher) قطعاً من الطريق الرومانية الممتدّة على ما يظهر بين دمشق والاردن

﴿ بنو سليح وبنو غسّان ﴾ وفي حوران الى ايّامنا هذه آثار لآبار ارتوازية وصهاريج وغيرها من اعمال العمران الراقي اصلها الى عهد واحد وامة واحدة ارتأى البعض انهما للرومان ورجح غيرهم الى انها لقبيلة عربيّة. قال العلّامة وتستشتين (Wetzstein: Reisebuch)

« في اوائل القرن الماضي حلّ بلاد سورية الشرقية قبيلة عربية تعرف ببني سليح فوجدوا الارض خرباً وقد كانت الحروب قد خربتها فاستولى الرومانيون استقلال السلبيين وعهدوا اليهم بحراسة حوران من شر اللصوص وتعميرها »

وفي اواخر القرن الثاني للمسيح زحف على سورية الوسطى قبيلة اخرى من العرب وهم بنو غسّان اليمانيون. وقد روى خبرهم كتاب الاغاني (١ (١٩ : ٩٥) قال (١ :

« ولما ارسل الله سيل العرم على اهل مأرب وهم الازد قام رائدهم . . فقال من كان منكم يريد الخمر والخمير والامر والتأمير والديباج والحرير فليلحق ببصرى والحفير وهي من ارض الشام فكان الذين سكنوه غسّان »

فعاهد الغسانيون بني سليح على مراعيهم الى ان عظم شأنهم فقاتلوهم وامتلكوا البلاد لكنهم خضعوا للسلطة الرومانية . ولم يقاومهم الرومانيون بل استعانوا بهم وتركوا لهم امراءهم وقلّدوهم الوظائف ولقّبوا كبيرهم بلقب يطابق اي من اعيان المملكة او دعوه فيلاركاً اي رئيس القبيلة . اما بنو غسان فلقبوا اميرهم ملكاً وقطن بنو غسان جنوبي حوران اولاً ومنها انتشروا في كل الجبل وفي اللجا وسائر انحاء

١) اطلب المجلّد ١٩ ص ٩٥ وراجع ايضاً رنات الثالث والثاني للاب صالحاني (٢ : ١٠

النقرة حيث شيّدت احدث مدن حوران وقاموا في الجولان وعجلون وبلغوا مقاطعات البقاع الجنوبية حيث بنوا مدينة امّ الجمال وكانت كلها مسيحية

وعمل بنو غسان في سبيل برّ المياه وري الاراضي كما كانوا فعلوا في اليمن فانقلبت الصحارى بين ايديهم الى حقول قمح . واقتفوا في بنايتهم آثار الصانعين فاستعملوا المداميك الطويلة الضيقة بمثابة الخشاب سقفوا بها البيوت وتعلموا منهم بناية البروج المربّعة الزوايا وسمّوا بعض البلدان باسامي يمانيّة كبصرى ونجران

وذكر المؤرخ أميان مرسلان من كتبة القرن الرابع مدينة بصرى فوصفها بالمدينة الكبيرة . وقد قدّر العلماء الاثريون عدد سكانها في ايام عزّها اي في القرن الرابع بنحو ثمانين الفاً لكثرة ما فيها من الانقاض الى يومنا هذا

وكانت إلهة بصرى وشفيعتها تدعى « إلهة النصيب الصالح » (Ἀγαθὴ Τύχη) ومنها شاعت عبادة هذه الالهة في حوران وكان لبصرى تاريخ خاصّ يُعرف بها يبتدئ سنة ١٠٥ للمسيح وذلك منذ تحوّل حوران . الى ايالة رومانية

ومما يستدل به من النقوش والكتابات القديمة انّ غرس الكرمة والعناية بها كان قد اعتاده الاهلون لانهم خصّوا بعبادتهم اله الكرمة ديونيسيوس وهو المدعو ايضاً باخوس ودعوا اولادهم باسمه الى اواسط القرن السادس

اما بلاد اللجا التي بلغت في ايامنا من الوحشة والخراب ما لا يكاد يتصوّره الّا من رآها فكان عدد سكانها على ما يزعم البعض يتراوح بين ٤٠٠،٠٠٠ و ٥٠٠،٠٠٠ وان اعتبرنا أنّ الارياف تُحسب عامرة غنيّة ان سكن فيها ٥٠ شخصاً في مساحة كيلومتر واحد مربّع تسنّى لنا ان نعرف نجاح وخصب تلك البلاد في العهد الروماني

اما اللغة الشائعة بين الغسانيّين فكانت العربية او لهجةً قريبة منها . وكانت اليونانيّة لغة الكنيسة ولغة العالم المتمدّن ولغة الشبيبة الراقية كالافرنسية في سوريّة على عهدنا . وذلك هو السبب لوفرة الكتابات اليونانيّة التي وجدت في حوران

﴿فنّ البناء السوري﴾ ولما تنصّر الغسّانيون جعلوا يبنون الاديرة والكنائس فكثر عددها في البلاد ولا تزال اثارها الفخمة تشهد الى يومنا برقيّ حوران وفضل صنّاعها على فن البناء . قال العلّامة دي ڤوكوه ما تعريبهُ :

« ان ارباب الفنّ شادوا بنايات تلك البلاد العديدة فتقلدوا الفن اليوناني الجيد وتشبّثوا بتطبيق مبادئهِ اكثر منهم بأخذ مبانيه . نعم انهم لم يبلغوا من حسن الذوق وحذق الصناعة ما بلغه من الكمال فنّ البناء في عصره الذهبي راغبًا أسيوا في صنعتهم ما قصّروه عن المصنوعات اليونان الاولى من روح التوازن والاعتدال فاضم كرهوا الافراط في التصنُّع ونبذوا استعمال الملاط واتخذوا من نواميس المادة كالثقل والارتكاز ما أكّد لهم متانة البناء والهمّم تخطيط رسومها تملّأوا مواقع الرحزفة على اليونان واخذوا عقد القوس والظهر عن الرومان واتبعوا طرائقهم . وبَذروا كلّ عضوٍ رأوه زائدًا وقاسوا العلوّ والعمق والطول والعرض لا على قاعدةٍ مطّردة ولكن بالمناسبة لما لديهم من حجم المرادّ وطبيعتها وبحسب ما ارتسموه لهم من رسمٍ ارادوا تحقيقهُ . فلم يستعملوا الّا قطعًا ضخمة من الحجر في رصف الاساس والمساند ولم يبالغوا في الارتفاع وجعلوا مقياس الابواب والنوافذ واحدًا لجميع البنايات كبيرةً كانت او صغيرة . وفي اوائل القرن الثاني عشر لما دخل سورية الافرنج من سياح وصليبيين ورأوا ما بقي من ذلك العمران استفادوا منه وجعلوا يتقادونه فحملوا معهم الى اوروبا نفوذ الفن السوري »

وذكر ابو الفداء المؤرخ ملوك غسان ومآثرهم الدينيّة والمدنيّة (طبعة ليبسك ١٨٣١ ص ١٢٨—١٣٠) :

« واول ملوك غسان جفنة . . . بنى بالشام . . . وملك بعده ابنه عمر وبنى بالشام عدة ديورة منها دير سالى ودير ايوب ودير هند . ثم ملك بعده ابنه ثعلبة وبنى صرح المدير في اطراف حوران مما يلي البلقاء . ثم ملك جبلة بن الحارث وبنى الناظر وادرح والقسطل . ثم ملك ابنه الحرث بن جبلة وكان مسكنه بالبلقاء فبنى بها الحفير ومعشه . ثم ملك الأيهم بن الحارث وبنى دير ضخم ودير البنوة . ثم ملك النعمان بن عمر بن المنذر وبنى قصر السويداء . ثم ملك النعمان ابن الحرث وهو الذي اصلح صاريج الرصافة وكان قد خربها بعض ملوك الحيرة اللخميين . ثم ملك الايهم بن جبلة بن الحرث وهو صاحب تدمر وبنى له بالبرية قصرًا عظيمًا ومصانع واظنّ انه قصر برقع . . .

❊ حوران في عهد العرب ❊

فتح العرب حوران بُعَيد موت محمّد صاحب الشريعة الاسلامية . قال ياقوت في كتابه معجم البلدان (٢ : ٦٥٤)

ولمّا سار خالد بن الوليد من العراق لمَدَد اهل الشام قدم على المسلمين وهم نزول ببصرى فضايقوا اهلها حتى صالحوهم على ان يؤدّوا عن كل حالمٍ دينارًا وجريبَ حنطة . فانتظم المسلمون جميع ارض حوران وغلبوا عليها وقتئذٍ وذلك في سنة ١٣ هـ (٦٣٥ م)

فمن هذه الجزية يُستدلُّ على خصب المدينة وثروة اهلها . وقسم العرب سورية الى خمسة اجناد او ولايات عسكريّة وهي شرقي الاردن وفلسطين ودمشق وحمص

وقنسرين (جنوبي حلب). قال ابن رسته (الاعلاق النفيسة ٧ : ٣٢٦) :

« وجند دمشق من الكُوَر الغوطة . . . وحوران ومدينتها بصرى واهلها قوم من قيس من بني مرّة خلا السويداء فان بها قوماً من كلب »

واخبر البلاذري في فتح البلدان (ص ١٢٨—١٢٩) انَّ عمر بن الخطّاب ولّى حوران علقمة بن عُلاثة فمات بها . وكان الحطيئة الشاعر قصدهُ فوقع موت علقمة قبل وصوله فقال يرثيه :

وما كان بيني لو لقيتُك سالمًا وبين النوى الّا ليالٍ قلائلُ
فان نحيَ لا املَلْ حياتي وان تَمُتْ فما في حياةٍ بعد موتك طائلُ

فاز اهل الوَبَر على اهل الحضَر وأكره الغسانيون على اعتناق الاسلام فتغيّرت حالة البلاد ودُمّرت الاديرة وعاد عهد الغزو والتلصّص . وكلّما انقلبت دولة وظهر حاكم جديد تجددت حوادث النهب والسلب التي امسى مآلها انحطاط البلاد من الحالة السعيدة التي رأيناها في عهد الرومان الى ما هي عليه اليوم من وحشة وخراب . ومن ذلك ما رواهُ ابن رسته (الاعلاق النفيسة ص ٣٧٣) :

وبعد تشتيت امر آل طولون خرج قرمطي اخر يكنّى ابا غانم في جمع من كلب ايضًا بنواحي الشام في سنة ٢٩٣ (٩٠٥م) وقوي امرهُ وكثر اتباعهُ وصار الى نواحي اذرعات وبصرى من حوران والبثنية من اعمال دمشق وعاث وقتل وسبى وصار الى مدينة طبرية من بلاد الاردن فدخلها في السيف »

وقس عليه حوادث جمّة . فحسبنا ان نذكر اسم تيمورلنك المشؤوم الذي اغار على سوريّة في سنة ١٤٠١ وتقدّم الى دمشق ونهبها ودمّرها وعاث فسادًا في ارض حوران وقد ينسب الاهلون طمس البئار العديدة التي كانت حوّلت الصحراء الى جنة غنّاء في العهد الروماني الغساني . ولم يستطع الاتراك ان يردّوا الأمن للبلاد لمّا كان دأبهم استثمار خيراتها والاغتناء من تعب فلّاحيها . فكان الحكام كبارًا وصغارًا يتثقّل مستديم قلّما يبقي الواحد منهم في وظيفته اكثر من عامين

وكاد يبيد اثر الطرقات العظمى التي اختزقها الرومانيون . وما عسى ان تنفع البدو وليس لهم معرفة بصناعة المركبات وتسييرها وهم يكتفون بالهجين ليقطعوا

فيافي الارض . على ان بلاد حوران اضحت طريق الحج الطبيعية للمدينة ومكة . ووصف ابن بطوطة حجَّهُ اليهما فقال في رحلته (١ : ٢٥٤ طبعة باريس ١٨٥٣)

« لمَّا استهلَّ شوَّال من سنة ١٣٢٦ (ايلول ١٣٢٦ م) خرج الركب الحجازي الى خارج دمشق ونزلوا القرية المعروفة بالكسوة فاخذتُ في الحركة معهم . . . وارتحلوا من الكسوة الى قرية تعرف بالصنمين مظلمة ثم ارتحلنا منها الى بلدة زرعة وهي صغيرة من بلاد حوران نزلنا بالقرب منها . ثم ارتحلنا الى مدينة بصرى وهي صغيرة . ومن عادة الرَّكب ان يقيم بها اربعاً ليلحق بهم من تخلَّف بدمشق لقضاء مآربه . والى بصرى وصل رسول الله صلعم قبل البعث في تجارة خديجة وبها برك ناقته . قد بني عليه مسجد عظيم يجتمع اهل حوران لهذه المدينة ويتزود الحاج منها ثم يرحلون »

٢ ابرشية حوران للروم الكاثوليك

هي اوسع ابرشيات الطائفة الملكية الكريمة يحدُّها شمالاً خط خيالي يمتدُّ من جبل الشيخ فيجتاز جنوبي الميدان في ظواهر دمشق وينتهي في البادية . وشرقاً صحراء سورية . وجنوباً وادي الدانوج ووادي رقاد ووادي العجر . غرباً خط عامودي يصل الى الجنوب من نهر عنتر وهي تربة [illegible] تضم جبل الشيخ

ان راعي الابرشية الحالي هو السيد نيقلاوس القاضي [illegible] سيادته في دمشق في ٢٠ حزيران سنة ١٨٦١ وتلقن العلوم الكهنوتية في مدرسة عين تراز وسيم كاهناً باسم بطرس فترأس المدرسة البطريركية في دمشق ثم رُقي الى الكرسي الاسقفي في ١٠ شباط سنة ١٨٨٩ على يد البطريرك غريغوريوس يوسف وسيم مطرانياً على بصرى وحوران

وانَّ لقبي لقب سيادته هذا دليلاً على ما كانت عليه تلك البلاد من الحضارة المسيحية قبل الفتح الاسلامي فكان لمطرانية بصرى السيادة على ٣٥ اسقفاً مراكزهم في شرقي الاردن الَّا ثلاثة منهم لم يكن لهم مركز بل كانوا يسكنون الخيم مع رعاياهم اهل الوبر

ولا عجب ان رقي الكاهن الشاب الى منصب الاسقفية على حداثة سنه إذ كان فيه من المزايا التي تؤهله لوظيفته الجديدة والرعية بحاجة الى مطران غيور نشيط يرضى بان يعيش عيش المرسلين المجاهدين ويحمل ثقل الرئاسة من دون ان يتمتَّع بما تؤديه

لاصحابها من الشرف والامتيازات في المدن « كخادم الله في الصبر الكثير والمضايق والضرورات والمشقات والجلدات والسجون والاضطرابات» (٢ كور ٦ : ٤)

واوّل ما همَّ به الاسقف كان امر زيارة ابرشيته فعرف احتياجاتها وجعل يسعى في تشييد الكنائس على قدر ما كانت تسمح له الظروف وفتح المدارس واستدعى لمساعدته الاباء اليسوعيين فلبّوا دعوته . على انّ الحوادث المشومة التي حصلت في ايام الحرب الكونيّة كادت تطمس آثارها لمّا غادر المرسلون البلاد فحلّ ما حلّ فيها من الويلات ونُفي اسقف حوران واحتمل الاضطهاد لانهُ كان صديقاً لفرنسة ومنها كان يستمدُّ الحسنات ليقوم بوظيفته بين سكان قرى ابرشيته

ولكن لم تنتهِ الحرب الكبرى الّا وعاد الراعي الصالح واستدَّ ثغرة المرسلين وكان اول من لبّى دعوته بعض آباء رسالتنا اخذوا على عاتقهم وظيفة تعهُّد شؤون المدارس في ابرشية حوران الى يومنا . ولمّا دعيتُ الفقير في ايام الصوم الماضي الى القاء مواعظ الرياضات في ابرشيته سررتُ بلثم اثامل سيادته وزرت بركته وكانت اول رياضة اعطيتها هناك باشرتها في خبب فدونك ما اطّلعتُ عليه من احوالها

﴿ خبب ﴾ موقع هذه القرية في شمال بلاد حوران على حدود اللجا القريبة يقطع القطار الحديدي ٧٠ كيلومترًا من الشام الى محطتها . والقرية تبعد عن المحطة ثلثة ارباع الساعة وفي شمالها قريتا بصير وجباب . الاولى على مسافة ساعة منها والثانية على مسافة ساعتين . وغربيّها قريتا ثبنة والقنية تبعد عنها الواحدة ساعةً وربع الساعة والثانية ساعة وثلثة ارباع الساعة . وشرقيّها خربة ايب على بُعد ساعة منها يشرب من مائها اهل خبب وهناك مزار المليحة للدروز والعربان . وفي جنوبها سور اللجا حيث يقيم طلال شيخ مشايخ عربان اللجا

يبلغ عدد سكان خبب زهاء ١٢٠٠ يضاف اليهم ٤٠٠ شخص بين مهاجرين ومرابعين وعيان . واصل اهل خبب من صلخد هاجروا من جنوبي جبل الدروز في اواخر القرن الثامن عشر خوفاً من الوهابيين وهم ينتسبون الى عرب غسّان . وقد ثبتوا الى يومنا على عادات اجدادهم يلزمون الحياة البدوية وينتسبون الى بطون او أُسر اخصُّها بيت حاتم وقريط وخلّاف والزراعنة وعكه والصواونه ورعد وكعب وهيتاني والفرازي والشناعة والدهيم . وفي خبب مدرستان الواحدة للذكور وعددهم

٨٠ تلميذاً يهذبهم معلمان والاخرى للاناث وعددهن ٣٠ لهن معلمة واحدة

وللخب سوق زرتُ حوانيتها واستقصيت عن اسعار مستغلاتها فكانت في الربيع الماضي على ما ترى :

القمح	المد	بنصف ليرة ذهب	اللحم	الرطل	٦٠ غرشاً فضة
الشعير	»	بمجيدين ونصف	السكر	»	٣٥ »
السمن	الرطل	بمجيدي ٥	الحلاوى	»	٥٠ »
البن	»	١٣٠ غرشاً فضة	القضامة الملبسة	»	٣٠ »
الزيت	»	بمجيدي	الدبس	»	بمجيدي
الزيت الحلو	»	٥٥ غرشاً فضة	الأرز	»	»

وفي خب مقام الكرسي الاستفي . أقيمت فيما من السنة ١٩٠٤ الى ١٩٠٧ كنيسة كاتدرائية واسعة ذات ثلثة اسواق متقنة الهندسة . وقد بُنيت بالحجر البركاني الاسود يخدمها كاهنان وهما حضرة الايومن يرجس سلمان وبطرس درويش

وفي خب آثار قديمة اخصُّها كتابات يونانيَّة قد وقف على بعضها الاثريون خصوصاً وادنغتون والمركيز دي فوكويه وغيرهما . والبعض لا يزال مجهولاً ومما وقفنا عليه فذكرهُ الاثريون كتابة مدفنيَّة لجرم واولادهِ تُرى على حجر أُدغم في الجدار الغربي من كنيسة خب (مجموع وادنغتون تحت العدد ٢٥١٣)

ومما نشرهُ وادنغتون كتابةٌ في بيت هلال (العدد ٢٥١٥) يذكر فيها انَّ المسمَّى مليكث بن حام بنى هيكلاً اكراماً لمعبوده

وهناك كتابات اخرى اخذنا رسومها فننشرها او ينشرها غيرنا اذا تحققنا انَّها مجهولة . منها كتابة في بيت احد مختاري القرية نجيب افندي الحاتم على عمود مربَّع الزوايا وكتابة اخرى في بيت الزراعنة داخلة في حائط الدار شرقاً قريباً من الباب وهي طويلة تبلغ عشرة اسطر وفي بيت الهلال ايضاً عمود نُقشت عليه باحرف كبيرة كتابة قديمة قصيرة . وفي بيت يوسف افندي الخوري كتابتان أُخريان . وهذه الكتابات قد طُمس بعض كلماتها بفعل الزمان يحتاج الاثريون الى درسها زمناً طويلاً لادراك معانيها

﴿ اهل خب في الحرب الكونيَّة ﴾ قد قاسى اهل خب في زمن الحرب الكونيَّة عناء كبيراً بسوء معاملة الاتراك . فلمَّا كانت اواخر السنة ١٩١٤ ودخلت

تركيّة في الحرب مع الدول المركزيّة طلبوا من خبب رجالًا بصفة جمّالة في الجيش ثم ما لبثوا ان دعوا رجال القرية كلّها الى ازرع ليتثبّتوا على قولهم هُويّتهم وما كانوا عندئذٍ حشدوا عسكرًا من غير المسلمين

فسار الى ازرع رهطٌ من شبان ورجال خبب وتبنة وشقراء وتامر وسائر القرى ليدوّنوا اساميهم في سجلّ الحكومة ولساعتهم اغلقت عليهم الابواب وأُكره نحو ٤٠ رجلًا من اهل خبب على الخدمة كمثال لا كجنود على انهم تفرقوا طرائق فمنهم من يسيق الى الحرب ومنهم من فدى نفسهُ ببدلٍ مالي ومنهم من تهاون الاتراك بجراستهِ فنُفي ونجا بنفسه . وكثيرون من الذين حُشدوا بالجيش ووُجهوا الى الاناضول كانوا يفرّون من غير عناء متحدرين من القطار لان سيره كان بطيئاً جدًّا فكانوا ينزلون منهُ ويعودون الى قراهم ولم يخدم منهم احد اكثر من شهر او شهرين الّا اثنين بقيا في الجيش ستة اشهر وكان الاتراك يعرّجون الى القرى من حين الى آخر واذا وجدوا فيها رجلًا بسنّ العسكرية يأخذونهُ ولم يكترث المأمورون الاتراك الى التحقيق في امرهم أينتمون في الجنسيّة ام لم يُنظموا بعد ولو علموا ذلك لحذروا تسعاهم لانهم كانوا اذا حشدوهم واتوا بهم الى ازرع يفتحون سجلّ اسامي القادمين من طوابيرهم ويقرأونها وكان اصحاب الاسامي يسمعون اساميهم ويتغيّرون ساكتين . واذا سُئلوا استعاروا لهم اسماً جديداً فأُحصوا في سجلّ جديد وسيقوا مرّة اخرى الى الحرب ثمّ يعودون لائذين بالفرار . فتجدُّ الحكومة في طلبهم ولم تكن لتهتدي الى هويتهم فتعود تجمعهم اينما وجدتهم وهم يعودون يرجعون الى بلادهم الى ان امسى اخيرًا لدى المأمور في ازرع مجلدات ضخمة من الاسماء ومعظمها اسماء مستعارة وهميّة لا مسمّى لها . وكان المسيحيون والمسلمون يتساعدون في هذه الحيل فيتبادلون اسماءهم وقد قيل لي ان احد هؤلاء الرجال القي القبض عليه ١٢ مرّة بعد فراره ١٢ مرّة . وكانت معاملة الاتراك مع المسلمين اشدّ فظاظة منها مع المسيحيين وكان البعض من الشبان يقولون للمأمور : اقتلني فاني اينما ذهبتُ لا بدّ لي من الهرب وفعلًا ان من الشبان من عاد ماشياً من حلب الى الشام ومن بئر سبع الى حوران فارًا من الجيش التركي

على ان حوران ساعدت الحكومة التركيّة بتقدمة بعض المواد الضرورية للجيش

فأدّت قرية خبب وحدهـا ٣٤ الف مدّ من الحب ثلاثة ارباعها قمحاً في سنة ١٩١٦ و ١٧ الف مدّ في سنة ١٩١٧ وعشرة آلاف سنة ١٩١٨ ومنها خذ لك مثلاً لما جرى في سائر القرى

وقدّمت خبب على مدة الحرب كلها ١٠٠٠ رأس غنم او ماعز و٢٠٠ رأس بقر و٥٠ جملاً و ٥٠ رأس خيل و ٥٠٠ رطل سمن . اما الحكومة فلم تدفع تلقاء تلك الفرائض الباهظة اكثر من ٢٠٠٠ ليرة عثمانيّة ذهب

وكان قد منع على الحورانيين تصدير القمح لكن البعض كانوا يهربونه . وفي تلك الأيام تهـافت على حوران كثيرون من اللبنـانيّين الجياع وكان البعض منهم يبيعون الفلاحين ما استطاعوا حمله من سجادات او اوانٍ ثمينة تلقـاء شيء من القمح والبعض يتجولون بين القرى لطلب لقمة يسدّون بها رمقهم . ومن الذين اشتهروا بأريحيتهم في تلك الايام واستحقّوا ذكرًا حميدًا الامير سليم الاطرش الدرزي فانـهُ كان يفتح بيتهِ للجياع ويوزع عليهم البرغل كل عشية . قيل ان احد خدّامه ضرب رجلًا كان يسرق الطعام فانتهرهُ الامير قائلاً : دعهُ فانهُ جوعان محتاج الى قوته . وكان الامير سليم معروفاً بمروّته وكرمه ولولا اختطافته انياب المنية لكان ولا ريب قام بوجه اخوانه من زعماء الدروز ليمنعهم عن اضرام نار الفتن في يومنا هذا

الازمة الزراعية في خبب وحوراته

وقد بُليت خبب في هذه السنة بل حوران كلهـا بازمة زراعيّة تتفتّت لهـا الاكباد . وذلك بسبب قلّة المطر الذي مُنيت بهِ سوريّة عموماً وحوران خصوصاً . ولذلك ما كادت البلاد ترى ربيعاً فاتت المواشي من نقص الكلإ والماء . وقد اخبرني احد وجوه خبب انهُ لم يبقَ لهُ من قطيع غنمهِ البالغ ١٩٢ شاةً سوى ١٥ ومـات الباقون لفقد المراعي والمياه

وقد كنتُ ونحن بعد في شهر آذار حيث ينمو الزرع والضرع وتتوفّر المراعي وتسمن الماشيـة ارى البقر تسير سيرًا بطيئاً منتفخة البطن عجفاء وجلدهـا ملتصق بعظامها ولا يكاد يُسمع في البوادي لا ثغاء ولا رغاء

وكان ذلك في ايّام الربيع ويزيد الصيف عادةً يبساً وجفافاً فلا ينتظر الفـلّاح

منهُ خيراً . ولذلك ترك كثيرون منهم اراضيهم وقصدوا المدن ليطلبوا لهم ماء وخبزاً وهم في الامس كانوا يمرّنون سوريّة بغلّاتهم

على انّ الله رحم البلاد في اوائل نيسان فهطلت مياهٌ غزيرة فامتلأت البئار واستبشر الناس خيراً . وعلى كل حال ان مسألة المياه في جهات حوران مسألة حيويّة تحتاج الى نظر خاصّ من قِبَل الحكومة . فانّ البئار والاحواض قليلة بالنسبة الى حاجات كل قرية

فهذه خبب ليس لها إلّا اربعة آبار يستقي منها الاهلون والطروش . بئران منها في داخل القرية وبئران على مسافة نصف ساعة منها . فكثيراً ما تشحّ بئرا القرية فتَرِدُ الفتيات البئرين البعيدتين ويُمضينَ الساعات الطوال ينتظرن دورهن ليملأن اوعيتهنّ ماء

واشقى منها حالًا ازرع اذ ليس لها الّا بئر واحدة رأيت الاهلين يتزاحمون حولها فيتقاتلون على جرّة ماء . فيقصدون نبعَين من قرية شقراء يزعمون ان المياه هناك لا تنضب . فلما رأيتُ شقرا وجدت نبعَيها شحيحين لا يكفيان لاهلها

واسعد حظاً منها قرية نصيب لوجود حوض كبير عميق يروي لاعلى الرأي وانّما مياههُ عند سياحتي في حوران كانت لا تزيد عن ربع كميّتها في العام الماضي

وكانت قرية تبنة ترتوي من غدير يأتيها شمالًا من جبل الشيخ طريق الصنين فيملأ احواضها ويكفيها مؤونة العطش حتى شهر ايلول . لولا انّ اهل قرية الحجّة توفّقوا الى اقناع الحاكم بتحويل الغدير الى قريتهم أيّاماً معدودة فاختفوا ترعةً وأجروا مياه الغدير الى بلدتهم وحرموا منها اهل تبنة فوقع من جرّاء ذلك نزاع انتهى بنضوب الغدير فانقطع الماء عن الجميع

فترى ما لهذا الامر من عظم الشأن . وانّ ما قلتهُ عن بعض القرى التي زرتُها يصدق ايضاً على اغلب بلاد حوران كما اثبتهُ لي كثيرون ممّن يعرفون البلاد كلها . وكانوا في انتظار الجنرال سرّاي ليزورهم فيعرضون عليه مسألة موارد المياه فلعلّهُ يجد للداء دواء بان يرسل مثلًا بعض المهندسين الاختصاصيين لكشف الينابيع وبرّ المياه . وقد اكّد لي الاهلون انهم لا يبخلون عليهم بالمساعدة أيّة كانت ادراكاً لهذه الغاية الحيويّة من عمل وحفر وشراء ادوات لا يطلبون سوى من يرشدهم الى العمل

(له صلة)

بيروت

اخبارها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث السادس

آثار الفرنج الصليبيين في بيروت

رأيت ما كانت عليه بيروت من العمارة والحضارة في عهد الصليبيين . وقد تلف كثير من آثارهم وصبر بعضها على الزمان من بعدهم

﴿ استحكامات الصليبيين ﴾ قد سبق ان سنجر الشجاعي هدم حصنها المنيع واسوارها وكانت استحكاماتها استوجبت اشغالاً طويلة فكان يحرسها شمالاً من جهة البحر صخور عالية ومن الجانب الغربي كانت تحميها خنادق مبلطة تحت حراسة سورين حريزين تدعمهما عدة ابراج غاية في المتانة لا تقوى عليهما كل قوات العدو . وكان يزينها من الداخل ابنية حسنة الهندسة بديعة النقوش . وقد وصف السائح وليرند دي اولدنبرغ بعض قصورها فقال عن احدى غرفاته : «انها كانت مرصوفة بالفسيفساء وهي تمثل مياهاً جارية يمرُّ عليها النسيم فتتجعَّد بهبوبه . وفي اسفلها رمل ناعم فيتعجَّب الماشي فوقها كيف لا تغوص رجلهُ في اعماقه . وكانت جدران الغرفة مزدانة بقطع من الرخام المنقوش على صورة تأخذ بمجامع الابصار يظلّلها قبَّة تمثل بصبغها الازرق شكل السماء . وفي وسط الغرفة حوضٌ من الرخام الصقيل الملوَّن ينفذ اليها نسيم عليل من نوافذها فيرطّب حرارتها»

فكلّ هذه الاستحكامات والابنية الجميلة لم يبقَ لها اثر بدخول المصريين اليها ونهبهم لاموالها فبقيت بيروت خالية من التحصين الى ان عاد ملوك مصر وامروا بتحصينها ردًّا لغارات الغزاة المسيحيّين من جنوبين وكتلان واهل قبرس فحصنوها من

جهة البحر ومن الغرب بسور وقد استخدموا لحمايتها بقايا استحكامات الفرنج السابقة . وقد استدل جناب الكونت دومنيسل دوبويسون (C^te du Mesnil du Buisson) على آثار من تحصينات الصليبيين لبيروت (راجع مقالته المشعة في استحكامات بيروت وتحصيناتها القديمة في المشرق ٢٠ [١٩٢٢]: ٧٥١–٧٦٦ مع رسم بديع لبيروت القديمة)

﴿نقود الصليبيين في بيروت﴾ ضرب امراء الصليبيين من سلالة إيبلين السابق ذكرها نقوداً ذهبية وفضية ونحاسية وكلها عزيزة جداً لم يبق منها سوى بعض افرادها في متاحف اوربة الكبرى . وهذه المسكوكات التي رسمها العلامة شلومبرجر (Schlumberger) في كتابه المعنون بنقود الشرق اللاتيني (Numismatique de l'Orient Latin, p. 118-119) تمثل على احد وجهيها قلعة تعلوها الشرفات وفي مدارها اسم بيروت باللاتينية وعلى الآخر صليب مع اسم جان ديبلين صاحبها

﴿الرهبان الفرنسيسيون في بيروت﴾ كان دخول الرهبان الفرنسيسيين في بيروت في عهد الصليبيين وكان دليلهم على ما جاء في سجلات رهبانيتهم على اسم قديس يوسف (١ . وكانت كنيستهم هي كنيسة المخلص التي سبق لنا ذكرها في الباب القسم الاول بحث التاسع) حيث جرت فيها معجزة الصليب الذي تقدماً بضرب احد اليهود . ولما دخل المسلمون مدينة بيروت وهرب اهلها النصارى اضطر ايضاً الرهبان الى الخروج منها . لكنهم عادوا اليها بعد زمن كما سترى واليهم يشير صاحب تاريخ بيروت (ص ١٤٩) فدعا منزلهم كنيسة افرنسيسك

﴿جامع بيروت الكبير﴾ قد سبق لنا ذكر تشييد ملك القدس بودوان لكنيسة على اسم القديس يوحنا المعمدان في بيروت سنة ١١١٠م . وهي التي حولها المسلمون بعد ذلك الى جامعهم الكبير وقد حفظوا ذكر القديس يوحنا بما يكرم هناك من مقام يحيى النبي والجامع لم يغير شيئاً في هندسة الكنيسة المبنية على طرز الكنائس اللاتينية على صورة صليب لاتيني ووجهتها كوجهة الكنائس الشرقية من الغرب الى الشرق وانما أزيل ما كان فيها من الآثار النصرانية كالمذبح والرفوف . وكانت جدرانها

١) اطلب كتاب رؤساء الاراضي للقدسة G. Golubovich: Superiori di Terra Santa. p. 216-7

مزدانةً بتصاوير جميلة طُليت بالملاط بعد خروج الفرنج كما افاد صالح بن يحيى في تاريخه (ص ٥٨) . وانما بقي قريباً من باب الجامع الشرقي كوّة لا تزال آية الزبور (٢٩ : ٣) : «ان صوت الرب على المياه» منقورة فيها باليونانية اشارةً الى وضع جرن المعموديّة بقربها

﴿ مناشير للصليبيين ﴾ ومن آثار الصليبيين التي عرفناها بفضل صاحب تاريخ بيروت كتابٌ لصاحب بيروت الذي تولاها مدّة قبل دخول المصريين اليها وهو الامير (همفري دي مونفور) (Humfrey de Monfort) الذي بتزوّجه ابنة جان ابلين الثاني المعروفة بأشيف (Eschive) صارت لهُ امارة بيروت . توفي سنة ١٢٨٤ في ١٢ شباط وهذا نصّ المنشور مع اغلاطه(١ :

ومن مضمون كتاب برمية شكارة العروسيّة من منفري دي دمونفرب (كذا) الفرنجي صاحب بيروت وهو انهُ قد وهب شكارة مدارة (بذارها) غرارة بنصبها كرم شرط ان لا يبيعها ولا يوهبها ومتى فعل ذلك رجع في رجبتو . ومن شروطو مساعدة لصحويتو وان لا يخلّي في بلاده غريب من بلد بيروت الّا ويردّه صاحبا او بغيره وان لا يمكنهُ من الاقامة اريد في (من) نهاية ايّام ولا يمكّن احد من بلاده يقصد في بلد بيروت اعني الساحل لان بلد بيروت كانت حيالهُ في ذلك الوقت للمسلمين وكان الساحل للفرنج . تاريخ هذا الكتاب سنة الف خمسمائة واثني وتسعين للاسكندر والكاتب كاتب اسمهُ حرج من يعقوب كاتب اللغة والكتاب في رق وفي ادناه ختم في شمع احمر خيّال فرسو ورجو وترسو وهو رتك صاحب [بيروت] ودائر الختم كتابة بالفرنجية في اصل الختم

يؤخذ من هذا المكتوب انهُ كتب سنة ١٢٨٠ للمسيح وتجهةُ مونفري دي مونفور صاحب بيروت الى احد امراء العرب من بني مجتر وهو الامير جمال الدين حجّي بن نجم الدين المتوفى سنة ٦٩٧هـ (١٢٩٨م)

وقد روى صالح في تاريخ بيروت مكتوباً آخر كتبهُ صاحب صيداء سنة ١٢٥٥م لحجّي المذكور نحيل القراء الى مراجعته هناك (ص ٨٣—٨٤)

ويستفاد من هذه المناشير حُسن العلاقات التي كانت بين الصليبيين المتولّين على السواحل والامراء البحتريين المسلمين اصحاب جبل لبنان المشرفة عليها . حتى انّ احد

١) اطلب ما كتبهُ في هذه المناشير العلّامة كلرمون غانو Clermont Ganneau: Recueil d'Archéologie Orientale, VI, 1-30

اعداء الامراء المشى تقيّ الدين نجا بن ابي الجيش - مع بهم زوراً الى ملك مصر الظاهر بيبرس مدّعياً بانهم حالفوا الفرنج وخانوا الدولة فألقى ثلثة من امرائهم في الحبس (تاريخ صالح بن يحيى ص ١٠٢—١٠٣)

هذا جملة ما وجدنا من آثار الصليبيّين في زمن ولايتهم الاخيرة على بيروت

الجزء السابع

تاريخ بيروت في عهد ممالك مصر (١٢٩١—١٥١٥)

رأيت ما دلقته بيروت من الهوان في زمن تملّك الصليبيّين عليها . وما دخلها المصريّون حتى عادت الى خمولها لولا بعض ما نالتهُ من حسن مساعي امراء العرب بما احدثوهُ فيها من الابنية لسكناهم ولتجارتهم . لكنّ بيروت لم تفقد في اعين الفرنج شيئاً من عظم شأنها سواء كان من جهة حصانة مركزها ام من جهة التجارة والاقتصاد . وذلك تكرّرت عليها الغارات في عهد ممالك مصر وهنا نحن نذكر اولاً تراجم الحوادث التي تدلّ دلالة ما على ذكر اصول إمراء بني العرب ومساعيهم في بيروت

لم يمرّ على خروج الفرنج من بيروت سبع سنين حتى حاولوا فتحها . قال النويري في تاريخه (اطلب تاريخ بيروت ٤٧—٤٨) :

« في العشر الآخر من شعبان سنة ٦٩٨ هـ (شهر آب ١٢٩٩) وصل الى بيروت مراكب كثيرة وطُسُس (١ الفرنج فيها جماعة كثير من المقاتلين يقال انّ عددهم كان يبلغ ثلثين طسة في كل طسة منها نحو ٧٠٠ مقاتل وقصدوا ان يصعدوا من مراكبهم الى البرّ ويشنّوا الغارة على بلاد الساحل . فلمّا قربوا من البرّ ارسل الله عليهم ريحاً شديدة فرقت بعض السفن وتكسّر بعضها ورجع من سَلِمَ منهم على اسوإ حال وكان الله بالمسلمين لطيفاً . (قال) وحُكي عن نائب بيروت انهُ قال : واللهِ لي خمسون سنة ألزم هذا البحر ، ما رأيتُ مثل هذه الريح التي جرّت على هذه المراكب وليست هي من الرياح المعروفة عندنا »

وذكر صالح في تاريخه : من محرّم سنة ٧٠٥ هـ (٢٦ تموز ١٣٠٥) بعد ذكره حملة آقش نائب الشام على كسروان انهم اقطعوا التركمان اراضي كسروان فأدركوا موانئ البحر ودروب البرّ من ظاهر بيروت الى عمل طرابلس واستمرّوا الى زمن

---

١) البُطَس جمع بطسة لفظة اعجميّة يراد بها سفينة الحرب

صالح اعني الى اواسط القرن الخامس عشر وشُهروا بتركمان كسروان وعُرفوا به. (قال): «وفي تلك السنة في العُشر الآخر من جمادي الاولى (لتشرين الثاني ١٣٠٥) جازت تعبيرة (اي اسطول) للفرنج على بيروت ولم يتعرّضوا لها وتوجّهوا الى صيدا. واخذوها وقتلوا واسروا جماعةً من اهلها (تاريخ صالح ص٥٠—٥١)

وفي تاريخ بيروت ايضاً لصالح (ص١٣٨) وكذلك في تاريخ ابن سباط (ص٢٢ من نسخة مكتبتنا الشرقية) ذكر غزو الفرنج الجنويين لبيروت في عيد الاضحى سنة ٧٣٤ه (آب ١٣٣٤). وكانت غايتهم ان يأخذوا مركباً للكتلان من اهل اسبانية التاجرين في بيروت فدافع المسلمون عنهم. قال صالح:

«حضرت شواني للفرنج الجنويين الى بيروت قاصدين اخذ قرقون (١ لطائفة الكتلان في ايام ولاية عزّ الدين البصري من قبَل تنكز نائب الشام. وقصد المسلمون منْع الجنويّة من اخذ القرقون فقاتلوهم قتالاً شديداً لكنهم لم يقووا على منعهم وقُتل جماعة من الجند والرجال وجُرح بعض الامراء. ودخل الجنويّة الميناء واخذوا الاعلام السلطانية من البرج وقتل جماعة في البرّ وانهزم المسلمون فقاتلهم الجنويّة في الازقّة. ويُذكر انّ القتال استمرّ بينهم يومين»

(لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

S. Tolkowsky: The Gateway of Palestine. A History of Jaffa. 1 *vol.* S°, 30 *Illustrations et Cartes*, 1924. G. *Routeldge and Sons, London*

تاريخ يافا

يافا مدينة قديمة ورد ذكرها في الكتابات الهيروغليفيّة والمسماريّة على صورة اسمها حاضراً. واذ كانت مفتاح فلسطين من جانب البحر قضى على الدول القديمة من مصريين وبابليين وفرس ويونان ويهود ورومان وروم وعرب وفرنج واتراك ان

١) القرقون كالقرقور سفينة طويلة غائرية واصل الكلمة من اليونانيّة

صالح اعني الى اواسط القرن الخامس عشر وشُهروا بتركمان كسروان وعُرفوا به. (قال): «وفي تلك السنة في العُشر الآخر من جمادي الاولى (لتشرين الثاني ١٣٠٥) جازت تعبيرة (اي اسطول) للفرنج على بيروت ولم يتعرّضوا لها وتوجّهوا الى صيدا. واخذوها وقتلوا واسروا جماعةً من اهلها (تاريخ صالح ص٥٠—٥١)

وفي تاريخ بيروت ايضاً لصالح (ص١٣٨) وكذلك في تاريخ ابن سباط (ص٢٢ من نسخة مكتبتنا الشرقية) ذكر غزو الفرنج الجنويين لبيروت في عيد الاضحى سنة ٧٣٤ه (آب ١٣٣٤). وكانت غايتهم ان يأخذوا مركباً للكتلان من اهل اسبانية التاجرين في بيروت فدافع المسلمون عنهم. قال صالح:

«حضرت شواني للفرنج الجنويين الى بيروت قاصدين اخذ قرقون (١ لطائفة الكتلان في ايام ولاية عزّ الدين البصري من قبَل تنكز نائب الشام. وقصد المسلمون منْع الجنويّة من اخذ القرقون فقاتلوهم قتالاً شديداً لكنهم لم يقووا على منعهم وقُتل جماعة من الجند والرجال وجُرح بعض الامراء. ودخل الجنويّة الميناء واخذوا الاعلام السلطانية من البرج وقتل جماعة في البرّ وانهزم المسلمون فقاتلهم الجنويّة في الازقّة. ويُذكر انّ القتال استمرّ بينهم يومين»

(لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

S. Tolkowsky: The Gateway of Palestine. A History of Jaffa. 1 *vol.* S°, 30 *Illustrations et Cartes*, 1924. G. *Routeldge and Sons, London*

تاريخ يافا

يافا مدينة قديمة ورد ذكرها في الكتابات الهيروغليفيّة والمسماريّة على صورة اسمها حاضراً. واذ كانت مفتاح فلسطين من جانب البحر قضى على الدول القديمة من مصريين وبابليين وفرس ويونان ويهود ورومان وروم وعرب وفرنج واتراك ان

١) القرقون كالقرقور سفينة طويلة غائرية واصل الكلمة من اليونانيّة

يفتحوها . وقد دخلت حاضراً تحت الانتداب البريطاني . فتتبع صاحب هذا التاريخ اطوار يافا وذكر ما جرى لكل دولة في فتحها وذلك بفضل ما جمعهُ من المعلومات المتفرّقة وقد زيّن كتابهُ بالتصاوير البديعة وألحقهُ بملحوظات وفوائد شتى عن اليهود في عهد اليونان وعن انشاء مستعمرة تل ابيب وعن زراعة يافا ومحصولاتها وتجارتها وخصوصاً عن اصل ليمونها وعن سكّانها . نتمحض الشكر مؤلف هذا الكتاب ونتمنى له كل رواج

ج . ل

M. Barakatullah: Le Khalifat. 1 vol., 8°, 1924, Paris, P. Geuthner, Prix, 10 f°

الخلافة

مسألة الخلافة احدى المسائل التي كثر فيها القال والقيل في هذه الآونة . وهذا الكتاب الجديد وضعهُ احد المنود المسلمين الذي تخرّج في اوربّة وسكن فيها زمناً طويلاً وهو على ما يظهر من اهل الشيعة . يعرض على ذوي دينهِ ان يحلّ هذا المشكل تمهيداً لانعقاد مؤتمر اسلامي عام كانوا قرروا في تأليفهِ في مصر سنة ١٩٢٥ ثم تعذّر وجود الوقت الخ . ولم يتعرّض في كتابهِ بتبرير كمال باشا وحزبهِ التركي لالغائهم الخلافة لكنهُ يرى ان الخلافة لا غنى عنها وانما يجب حصر سلطتها في الدينيات على مثال البابوية عند الكاثوليك حاضراً ولا بأس ان يوازرهُ بعض الوزراء في امور الدين والمالية والتعليم (ص ٧٤) واليهِ يعود امر نشر الاسلام في اقطار العالم وعلى رأيهِ ان الشيخ السنوسي الاكبر هو اولى من سواه لهذه المهمة (ص ٩٨) فيكون مركزهُ في اسطنبول او في القاهرة (ص ١٠٣) . وسوف نرى ما تتمخض بهِ الأيام من هذا القبيل

الاب ه لامنس

W. Norman Heak: Islam and its need. 1 *vol.*, 8°, *London s. d. Marshall Brothers. Prix six Pence.*

الاسلام وحاجاتهُ

كان صاحب هذا الكتاب في مهمّة البعثة البروتستانتية في بلاد العرب وفلسطين بصفة طبيب فجمع في تأليفهِ هذا في ٤٠ صفحة مجمل ما يجب ان يعرفهُ العوام عن الاسلام فيذكر معتقدات الاسلام وانتشارهُ في اقطار الدنيا وفي العلاقات الجارية بين

المسلمين والنصارى ولاسيما الارساليات البروتستانتية في بلاد الاسلام وذلك باعتدال دون تعصب . وقد شاقنا ما كتبهُ في فصلهِ الاخير عما جرى في الاسلام من تطوُّر الافكار بعد الحرب الكرنية الاخيرة . ومما يقولهُ هناك عن تركيَّة الكماليَّة انَّهُ لم يبقَ لها من الاسلام غير اسمه وهي سائرة سيراً حثيثاً الى اللادينيَّة . فليس الاسلام إلَّا التسامح بينهم اما بقيَّة الديانات فقُضي عليها بالفناء. (ص ٣٧) الاب ه. لامنس

Capitaine André: L'Islam noir. 1 vol. in-12, 1924, Paris, P. Geuthner, Prix, 7 f, 50

الاسلام الاسود

كذا دعا مؤلف هذا الكتاب تأليفهُ يريد بهِ وصف قبائل الزنج المرتدين الى الاسلام في افريقية وتقاسيمهم في كلّ قطر من تلك الاقطار ومن معلوماتهِ ما تفرَّد بهِ وأفاد فانَّهُ تتبَّع اخبار تلك البلاد وخصَّ بالذكر من دان من اهلها الزنوج بالدين الاسلامي . ومما رواهُ هناك انَّ اكثر انتشارهِ كان اوَّلاً على طريق القوافل واما اليوم فانَّهُ ينتشر في الثغور البحريَّة . ويردّ المؤلف على من قال انَّ الزنوج بعد اسلامهم لا يعودون الى اديانهم السابقة ويضرب لتقلُّبهم عدَّة امثال . ومما لم يستقصِ فيهِ البحث ما ذكرهُ عن مذاهب الاخوان القدريين والتيجانيين والسنوسيين . وقد بالغ في وصف الشيعة الاحمديَّة الناشأة حديثاً في الهند . لكنَّهُ احسن بوصفهِ حركة الزنوج التماساً للاستقلال (ص ١١٨—١١٩) ومما لحظهُ ان الزنوج المسلمين يدعون في خطبهم لرؤساء قبائلهم المشركين . وذلك من الامور الغريبة ه. ل

Saturnino Ximenez: L'Asie Mineure en ruines. 1 *vol.*, 8°, *Paris, Plon - Nourrit*, 48 *Gravures et* 9 *Cartes. Prix*, 25 *f*

دمار آسية الصغرى

آسية الصغرى وهي الاناضول قد اضحت بعد الحرب الاخيرة بين اليونان والترك في حالة من الخراب والدمار تنظر لها المواثر بعد عزّها وعمرانها السابق . وقد زارها مؤخراً احد الاثريين الشهيرين المسيو كسيمنيس فتجوَّل في انحائها ودقَّق النظر في ما صارت اليهِ من الانحطاط فتألَّب عليهِ الاسف بعد ان كان سابقاً عرف رقيها وحضارتها بل كاد يتميز غيظاً على الاتراك الذين قلبوا تلك البلاد ظهراً لبطن فحوَّلوها الى اطلال

ينمق فوقها الغراب . حتى مدنها الكبيرة كازمير قد طُمست محاسنها وذهب رونقها . وان من يقرأ ما كتبهُ المؤلف في سفر رحلته هذه لا يسعهُ الّا ان يشاركهُ في اسفهِ وغضبهِ على الذين استأثروا اعمال اجدادهم الغول والتتر الهمجيّة ل . ش

Raoul d'Harcourt : L'Amérique avant Colomb. 1 *vol. in*-32, 1925, *Paris, Librairie Stock, Prix*, 3 *f*

اميركا قبل كولمبس

هو الكتاب الخامس عشر من سلسلة تآليف عنوانها الحضارة العصريّة . مدارهُ على احوال اميركة وعمرانها قبل ان يكتشفها كولمبس . والمؤلف احد الاختصاصيّين جمع في كتابهِ ما استدل اليهِ بخصوص تمدُّن اميركا قبل دخول الاسبانيّين اليها في القرن الخامس عشر فيصف احوال تلك الامم التي مع انقطاع معاملاتها مع العالم القديم بلغت بمجرَّد مساعيها الى درجة راقيـة من العمران خصوصاً امم المكسيك والقبائل المعروفة باسم مسايا وشيبشا وكشنا فيصف آثارهم وفنونهم المختلفة ومخترعاتهم وتقويمهم الفني . وبلغوا في ذلك مبلغاً عجيباً . على انهم في امور اخرى بقوا في خمول وتقصير خطير فانهم لم يكادوا يعرفون استعمال المعادن ولم يعملوا بالدواليب ومما يحقق ذلك وفاتهم من الحجارة ومن الكتابة الّا ما لا يستفاد منهُ نفع يُذكر . فترى ما لهذا التأليف من الفوائد لمعرفة شعوب انقطعت عن عالمنا اخبارها مدَّة الوف من السنين ج . ل

André Godard : Ghazni -- S. Flury : Le décor épigraphique des monuments de Ghazna. *in*-4°, *Paris, P. Geuthner*, 1925 (*Extrait de* Syria). 24 *Planches*.

آثار غزنة ونقوشها

ازهرت في القرون الوسطى دولة اسلاميَّة في افغانستان كانت عاصمتها غزنة اشتهر اوَّل ملوكها محمود بن سبكتكين الذي اراد ان يجعل قاعدة مملكتهِ من اعظم واجمل حواضر العالم الاسلامي وقد خلَّف في غزنة آثاراً هندسيَّة عديدة تأخذ بمجامع الابصار يبقى اكثرها مجهولاً فلمَّا حصلت فرنسة مؤخراً على الرخصة بمباشرة حفريَّات منظَّمة في تلك البلاد اسرع المهندس غودار ودقَّق النظر في آثار غزنة واخذ

صورها ورسومها فساعده على نشرها في مجلة سوريا المسيو فلوري فكتب في ذلك فصلاً شائقاً وبيّن ما في هندسة غزنة من الخواص التي تميزها عن بقيّة الآثار الاسلاميّة بتأثير الصناعتين الايرانيّة والهنديّة فيها. فنوصي كل محبي الآثار الشرقيّة بمطالعة هذه النبذة المستملحة فلا شكّ انهم سيقضون من تصاويرها العجب

PIERRE TÉQUI, Paris, rue Bonaparte, 82, M^r CHÉRAR, BEYROUTH. I. Abbé Ch. Grimaud: L'Epouse attrait du Foyer, 3^e *éd.* *in*-12, 1925, *Prix* 7 *f* = II. E. Duplessis et D^r A. Marchand : Le Catéchisme vécu à Lourdes, *in*-12, 1925, *Prix* 7 *f* = III. Abbé H. Lanier: De l'abandon à Marie, *in*-32, 1925, *Prix* 1 *f* = IV. C. Gibert s. j : Les petits Chinois, In-16, 1925, Prix 1 f, 50

سيدة البيت. تعليم لورد. الاتكال على مريم. صغار الصين

هذه اربعة كتب جامعة بين الافادة واللذّة. (الاوّل) مدارهُ على وصف المرأة المسيحيّة الكاملة في بيتها ومعاملاتها مع زوجها واهلها بحيث تنال بفضائلها ان يصبح دارها كمنزل السعادة الحقيقية. فالمؤلف ينهج لها الطريق الى القداسة في حالة الزواج. (الثاني) مختصّ بزوار لورد الذي يقصدهُ سنويًّا الوف مؤلفة من الزوّار. وهذا الكتاب يبيّن لهم ولكلّ محبّي سيّدة لورد ما يستفاد من التعاليم المحيية في ذاك المقام الجليل الذي جعلتهُ العذراء مريم كمنبر ترشد منهُ الناس الى الايمان الحيّ وممارسة العيشة المسيحيّة فكأنّ ذاك المزار اصبح اليوم كخلاصة الحياة الروحيّة وكلباب المعتقدات النصرانيّة فان ما يجري فيهِ من الكرامات والمعجزات اليومية من شأنهِ ان يميت روح الكفر ويجتذب النفس الى الصلاح والقداسة. الكتاب (الثالث) لكاهن فاضل يحرّض النفوس على الثقة بشفاعة مريم العذراء ذاكرًا سلطانها وحنانها على البشر لتمنحهم سعادة الدارين. الكتاب (الرابع) لاحد الآباء اليسوعيّين وصف فيهِ عجائب الله في قلوب الناشئة في بلاد الصين. فذكر عدّة حوادث تبيّن التغيير الذي يطرأ على حياة هؤلاء الصغار بعد اصطباغهم بمياه المعموديّة فيجدّدون الاعمال الصالحة التي تروى في سير القديسين. والكتاب من افضل ما يُطالعهُ صغار مدارسنا. وهو يحتوي عدّة تصاوير يبتهج بنظرها اولاد الشرق

ل. ش

P. Alb. Vaccari s. j: Una Bibbia per il primo Gesuita al Libano. (*Extr. MUSJ*, X, *fasc.* 2, 1925, *pp.* 28)

نسخة عربيّة من التوراة المقدّسة في مكتبة الفاتيكان

بين الخدم العديدة التي ادّاها الآب يوحنّا الياذو اليسوعيّ للكنيسة أنّا جاء الى لبنان سنة ١٥٧٨ سعيُهُ الحثيث الى نقل نسخة كاملة من الاسفار المقدّسة بالعربيّة ليمثلها بالطبع في رومية فتكون دستورًا لنشائر الكنائس الشرقيّة. فهذه النسخة بقيت مصونة في خزائن الفاتيكان لم يسمح الزمان للاب الياذو بنشرها وانّما عليها كان معوّل المطران سركيس الرزي لمّا نُشرت سنة ١٦٧١ في مطبعة انتشار الايمان في رومية توراتهُ العربيّة مع النصّ اللاتيني. ومن العجب انهم في مقدّمة تلك الطبعة لم يذكروا هذه النسخة التي نقل عنها. فحضرة الاب البر فكّاري احد اساتذة مكتب الدروس الكتابيّة البابري خصّ بدرسه النسخة التي أتى بها الاب الياذو من الشام وقابلها بالتوراة المطبوعة وبيّن فضل الاب الياذو باستنساخها. وقد رصفنا نحن مؤخرًا نسخة من التوراة محفوظة في مكتبتنا الشرقيّة تشبه كثيرًا نسخة رومية تاريخها سنة ١٦٩٠. فنشكر حضرة الاب فكّاري الذي اطلعنا على هذا الكنز الثمين

H. Goussen: Ueber eine «Sugitha» auf die Kathedrale von Edessa (Extr. du Muséon, t. 38 p. 118-136)

سوغيثا سريانيّة من كنيسة الرها

يُعرَف انّ كنيسة الرها كانت من اقدم كنائس الشرق بعد كنائس فلسطين والشام وقد بلغت في اجيال الاولى للميلاد شرفًا عظيمًا برجالها وتعاليمها ومآثرها الدينيّة. ومما اطّلع عليه آخرًا حضرة الكاهن المستشرق الاب غويدي في خزائن كتب الفاتيكان سوغيثا (ܣܘܓܝܬܐ) اي نشيد كان يُتلى في تلك الكنيسة فنشرهُ حضرتهُ ونقلهُ الى الالمانيّة وعلّق عليه تعليقات تاريخيّة وطقسيّة مفيدة جدًّا لتعريف احوال الرها قبل العرب وبعد زمانهم. وقد وقع في الاصل السرياني بعض اغلاط طبعيّة في الصفحة ١١٩ س ٢ ܣܡܘ : ܣܘ = س ١٨ وبنفسه : وبنفسه = س ١٩ ܣܡܒܘܗܝ : ܣܡܒܘܣܗ

ل. ش

Le Califat Walid et le prétendu partage de la Mosquée des Omayyades à Damas par H. Lammens. *in-8, Le Caire. Extr. du Bulletin de l'Inst. Or. d'Arch. Fr., t. XVI, pp. 21-48*

الخليفة الوليد وتقسيم الجامع الاموي

مما شاع بين مؤرخي العرب ان كنيسة مار يوحنا الكاتدرائية أن فتح المسلمون دمشق خُصَّ قسمٌ منها لدينهم وبقي القسم الآخر لاهلها النصارى. وهذا القول يردّده الكتبة دون انتقاد ومن جملتهم العلّامة رينه دوسو. على انَّ هذه الرواية قد ظهرت اليوم لكثيرين من المستشرقين انها مصنوعة فعاد اليها حضرة الاب لامنس واثبت بالشواهد الصحيحة انَّ الكنيسة الكبرى في دمشق بقيت في ايدي النصارى وحدهم الى زمن الخليفة الوليد الذي انتزعها منهم وخصّها بالدين الاسلامي بعد اصلاحها. واخصّ هذه الشواهد رواية الرحّالة الاسقف أركلوف الذي وجد الكنيسة بتمامها لعبادة النصارى وذلك بعد الفتح بعدّة سنين. امّا رواية الكتبة العرب عن تقسيم الكنيسة فاحدثُ منها كثيراً والصناعة فيها ظاهرة ل. ش

كتاب خطط الشام

الجزء الثالث. تأليف محمد كرد علي

طبع في مطبعة الترقي بدمشق عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥)

هو القسم الثالث من تاريخ الشام لرئيس المجمع العربي السيد كرد علي ينتهي به التاريخ السياسي في القطر الشامي وهو يتناول اخبار بلاد الشام في آخر الطور العثماني مذ القرن التاسع عشر واوائل العشرين الى الحرب الكونيّة وعهد الانتداب الفرنساوي. وقد لحظنا انَّ المؤلف في هذا الجزء من كتابه اكثر اعتدالاً من القسمين السابقين. وقد اجاد بوصفه ما كانت عليه البلاد من الفوضى في آخر عهد الاتراك مصرّحاً بمنازعاتهم وظلمهم وجشعهم وسياستهم القبيحة التي كانت تحملهم على تفريق العناصر المختلفة لقهرهم جميعاً. وقد خصّ المؤلف القسم الاخير من كتابه لوصف الحوادث التي جرت بعد الحرب الكونيّة في سوريّة وفلسطين وما اجراهُ الانتداب من التنظيمات في انحاء البلاد مستنداً الى الكتابات الرسميّة. وحضرة المؤلف يبشرنا بقسم رابع يخصُّهُ بالتاريخ المدني في الشام أيدهُ الله على انجازه كاملاً وافياً ه. ل

لبنان ويوسف بك كرم

تأليف الخوري اسطفان البشعلاني

طُبع بمطبعة مكتبة صادر ببيروت ١٩٢٥ (ص ٦٠٦)

ليس في لبنان منذ خمسين سنة اسمٌ تردَّد على شفاه اهل الجبل كاسم يوسف بك كرم. ولا غرو فانهُ يمثل في اعينهم رجل الفضل والاقدام والدين الذي احبَّ وطنهُ ودافع عن استقلاله. على انَّ ذكر الابطال كثيراً ما يمتزج بزاعم وهميَّة يتناقلها العموم دون تمحيصهم لها. وها هوذا حضرة الخوري اسطفان البشعلاني قد حاول ان يبني لذلك الرجل الشهير مشيداً صادقاً استند في تشييده الى عدَّة آثار تاريخيَّة كانت متفرقة منها خطيَّة ومنها منشورة بالطبع في تآليف رسميَّة فرنسويَّة وغيرها وجد بعضها في مكتبتنا الشرقيَّة. وقد احسن بما اودعهُ في كتابه من التصاوير النادرة. فجاء تأليفهُ اتمَّ واوسع واصدق ما قيل عن بطل لبنان. ولعلَّ هذا الكتاب سيبعث همم غيره من الباحثين ليزيدوا بعض الحوادث ايضاحاً وصدقاً. وعلى كل حال لا يسعنا إلَّا ان نثني على حضرة المؤلف لهذه الخدمة الجلَّى التي ادَّاها لطائفته وللوطن. والكتاب يُباع في البلدة في مكتبة صادر او يُطلب من المؤلف ل.ش

الشذور الذهبيَّة في حياة كوكب البريَّة

تأليف الاب لويس بليبل الراهب البلدي اللبناني

طبع في مطبعة يوسف كرى بمصر ١٩٢٥ (ص ١٩٦)

لمَّا نشر حضرة الاباتي افرام الدبراني كتابهُ العيشة الهنيَّة في الحياة النسكيَّة سنة ١٨٩٩ خصَّ ٢٣٠ صفحة منهُ لترجمة القديس انطونيوس الكبير مع قسائيَّة وفرائض مختلفة لاكرامه. وها هوذا حضرة الاب لويس بليبل قد عاد الى هذا الموضوع وبنادُ على معلومات جديدة استفادها من نسختين الواحدة مترجم اصلها من السريانيَّة ولعلَّها منقولة سابقاً عن اليونانيَّة. والاخرى منقولة عن الايطاليَّة الى العربيَّة بقلم حضرة الاب يوسف عبُّود. وقد بقينا مرتابين في تعريف خواصّ النسختين فلا نعلم باي شيْ

امتازت النسخة المنقولة عن الايطاليّة ولا نفهم ما اراد حضرته بقوله عن النسخة المنقولة عن السريانيّة انّ ناقلها اخذها عن « كتاب مخطوط بمكتبة دير بطريرك الكلدان بالموصل عن بلّاديوس . . . الذي زار البلاد المصريّة في اواخر القرن الثالث » (كذا) فاخذنا العجب كيف امكن بلّاديوس وهو الذي عاش بعد القديس انطونيوس وتوفّي سنة ٤٢١ ان يكتب هذا الكتاب ويزور البلاد المصريّة في اواخر القرن الثالث . فلا بُدّ ان يكون وقع هناك غلط بالنقل . ولا ننكر ما اودعهُ حضرتهُ كتابه هذا من الفوائد والمعلومات إلّا اننا كنّا نحبّ ان لا تُخلَط النسخة المترجمة عن السريانيّة بالنسخة المترجمة عن الايطاليّة فضلًا عمّا مزجهُ بهما حضرتهُ من مجموعة الاب ربّاط التي وجدها في مكتبتنا الشرقيّة . وبا ليته راجع في اعمال القديسين للبولنديين ما كتبوهُ عن القديس انطونيوس في اليوم ١٧ من شهر كانون الثاني لكان استفاد منهُ فوائد جمّة عن سير القديس انطونيوس واصلها وفصلها

مبادئ موسيقيّة غربيّة وشرقيّة

للاب بولس الاشقر الانطونياني

طبع في بيروت سنة ١٩٢٥ (ص ٧٣)

لا يزال الشرقيّون في حاجة ماسّة الى تعليم اصول الموسيقى . والموسيقى الشرقيّة حتى اليوم لم تُضبَط قوانينها ضبطًا تامًّا فتراها ملفوفة بتقاطات الاطفال لم تبلغ القوّة الكافية المتصرّف بنغماتها . اما الغربيّة فلها اصولها الثابتة التي قلّما تتطبق مع الموسيقى الشرقيّة . وقد يسعى اليوم بعض ارباب الفنّ الى وجود طريقة تجمع بين المبادئ الغربيّة والشرقيّة وحضرة الاب بولس الاشقر ممّن يحاولون التأليف بين مبادئ الطريقتين بواسطة النوطة وهذا ما نوادُ بوضع هذا الكتاب الذي نتمنى لهُ كل رواج ل . ش

مشاهد العالم الجديد

تأليف فؤاد صرّوف

طبع في المطبعة العربية بمصر سنة ١٩٢٥ (ص ١٦١)

في العالم الجديد من العجائب ما تنبهر بمشاهدته اعين الشرقيين اذا عاينوها لاول

مرّة بعد خروجهم من اوطانهم . وقد اوقفنا كثيرون منهم على ما رأوه وسمعوه هناك وذكرنا قبلاً البعض من تآليفهم فيها لاسيما ما كتبهُ مواطننا الاديب المحقق الدكتور فيليب حتّي . وهذا الكتاب الجديد حريٌّ ايضاً بالذكر وهو لاحد الكتبة البارعين فؤاد افندي صرُّوف فوصف كثيراً مما وقف عليهِ في رحلتهِ لزيارة البلاد وبيَّن ما للتمدُّن الاميركيّ من المزايا والفضائل وما حدث لهُ في دخولهِ على اعيان اميركة وعلى المهاجرين السوريين . وقد عني بنشر هذا الكتاب يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب بمصر

كتاب منتهى الخشوع في مناجاة قلب يسوع

للاب يواكيم بلّاديوس الحلبي الراهب الماروني اللبناني

طُبع بمطبعة يوسف كوى بمصر سنة ١٩٢٥ (ص ٤٠٦)

نشكر حضرة الاب لويس بليبل لنشرهِ هذا الاثر الفريد الذي وضعهُ احد ابناء حلب الارمني الاصل والمترهب في جملة رهبان لبنان البلديين فانَّ كتابهُ يُعرب عن تقواه وقداسة حياتهِ وهو شاهد حيّ على انتشار عبادة قلب يسوع بين اهل حلب في القرن الثامن عشر وقد قسمهُ المؤلف الى ٣١ تأمُّلاً فيصلح لعبادة شهر قلب يسوع فنوصي بهِ كلّ النفوس الصالحة

اللاهوت الادبي للعلّامة غوري ﴿ ترجمهُ الى العربيّة الطران يوحنّا حبيب نقّحهُ واضاف اليهِ ايضاحات وافية الخوري ابرهيم حرفوش (الجزء الاوّل) . قد بلغنا هذا الكتاب في آخر ساعة من طبع المشرق فنؤجل الكلام عنهُ الى عدد آخر ل.ش

شذرات

﴿ وفاة غبطة بطريرك الروم الكاثوليك ﴾ دهمنا نبأ مؤلم بوفاة غبطة السيد البطريرك ديمتريوس القاضي في ساعة كنّا احوج الى حياتهِ الثمينة وهو في حاضرة

مرّة بعد خروجهم من اوطانهم . وقد اوقفنا كثيرون منهم على ما رأوه وسمعوه هناك وذكرنا قبلاً البعض من تآليفهم فيها لاسيما ما كتبهُ مواطننا الاديب المحقق الدكتور فيليب حتّي . وهذا الكتاب الجديد حريٌّ ايضاً بالذكر وهو لاحد الكتبة البارعين فؤاد افندي صرُّوف فوصف كثيراً مما وقف عليهِ في رحلتهِ لزيارة البلاد وبيَّن ما للتمدُّن الاميركيّ من المزايا والفضائل وما حدث لهُ في دخولهِ على اعيان اميركة وعلى المهاجرين السوريين . وقد عني بنشر هذا الكتاب يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب بمصر

كتاب منتهى الخشوع في مناجاة قلب يسوع

للاب يواكيم بلّاديوس الحلبي الراهب الماروني اللبناني

طُبع بمطبعة يوسف كوى بمصر سنة ١٩٢٥ (ص ٤٠٦)

نشكر حضرة الاب لويس بليبل لنشرهِ هذا الاثر الفريد الذي وضعهُ احد ابناء حلب الارمني الاصل والمترهب في جملة رهبان لبنان البلديين فانَّ كتابهُ يُعرب عن تقواه وقداسة حياتهِ وهو شاهد حيّ على انتشار عبادة قلب يسوع بين اهل حلب في القرن الثامن عشر وقد قسمهُ المؤلف الى ٣١ تأمُّلاً فيصلح لعبادة شهر قلب يسوع فنوصي بهِ كلّ النفوس الصالحة

اللاهوت الادبي للعلّامة غوري ﴿ ترجمهُ الى العربيّة الطران يوحنّا حبيب نقّحهُ واضاف اليهِ ايضاحات وافية الخوري ابرهيم حرفوش (الجزء الاوّل) . قد بلغنا هذا الكتاب في آخر ساعة من طبع المشرق فنؤجل الكلام عنهُ الى عدد آخر ل.ش

شذرات

﴿ وفاة غبطة بطريرك الروم الكاثوليك ﴾ دهمنا نبأ مؤلم بوفاة غبطة السيد البطريرك ديمتريوس القاضي في ساعة كنّا احوج الى حياتهِ الثمينة وهو في حاضرة

دمشق كملاك السلام بين الدولة المنتدبة ورعاياها المنكوبين. فما بقي لنا إلّا الاسف على فقدان الراحل الجليل ومشاركة طائفته الكريمة بلوعة الحزن على ترملها طالبين من مراحمه تعالى ان يجزل جزاءهُ على العبد الامين الذي احسن في كلّ ما صنع كما قيل عن سيّده وان يقيم في القريب العاجل خلفًا اهلًا بالسلف يواصل الاعمال التي باشر بها الفقيد لمجد الله وخير الوطن

﴿ معاهد جديدة لمدرسة انتشار الايمان ولمجمع البروبغندا في رومية ﴾ ضاقت معاهد مدرسة انتشار الايمان عن طلبتها كما انّ المجمع الساكن في ابنيتها تضايق من سكنى غرفها مع رُحبها. فاقتنى الكرسي الرسولي آخرًا قصرًا واسعًا على احدى تلال رومية المدعوّة بتلّة الجانيكول ستُنقل اليه المدرسة ويسكنهُ مجمع البروبغندا. اما المعاهد القديمة فتخصّص لشؤون دينيّة غيرها

﴿ عجائب مخلوقات المياه ﴾ قد أُنشئ في باريس مؤخرًا في معهدها المختصّ بالفنون الجميلة حوضان كبيران ضمّت فيهما ضروب الاسماك المتنوعة اليهما من كل انحاء العمور. فحشوا الواحد منهما باسماك الانهار ومياههُ حلوة والآخر باسماك البحار ومياههُ مالحة. وفي كليهما اقسامٌ للاسماك المنزليّة والخنزيريّة تسبح في مياهٍ توافق حرارتُها اجسامها. واهل باريس يتقاطرون الى مشاهدة عجائب مخلوقات المياه التي ابدعها الخالق باحسام واجرام واشكال والوان واخلاق غريبة يقضون الساعات في مراقبة حركاتها ويقضون العجب من رؤيتها ويسبّحون خالقها الذي تشهد عظمتهُ سكّان البحار كطيور السماء ووحوش البر

﴿ سباق الطيران ﴾ في ايلول الماضي أقيم سباق دولي للطيّارين سابق فيهِ ٧٤ طيّارة من معظم الدول الاوربية في فرنسة. وكان تعيّن للطيّارين ان يقطعوا من محطّة بورجيه مطار فرنسة الكبير بين موقعين مسافة ١٥٠٠ كيلومتر ذهابًا و ١٥٠٠ ايابًا فكان الفائز الفرنسوي لاسن (Lasne) قطع هذه المسافة باقلّ من ١٧ ساعة بمعدّل ٢١٨ كيلومترًا في الساعة. وقد عادت الطيّارات كلها سالمة

ومن عجائب الطيران انّ طيّارَين يابانيّين يُدعيان أبي وكاتشي قطعا لاوّل مرّة طريق الجو من توكيو الى باريس مارّين بكورية ومنشورية ثمّ سيبرية وروسيّة ومنها الى برلين ثمّ الى فرنسة حيث صار لهما استقبال غاية في البهجة والرونق

﴿الماسونيّة في فرنسا﴾ عقدت الماسونيّة الفرنسوية في ايلول مؤتمرها السنوي فاختارت لرئاسة محافلها العمومية الاخ م. موريس مونيه احد اعضاء وزارة المعارف. فكان من جملة مقاصد ابنا. الارملة توحيد ادارة المدارس في ايدي الحكومة ليختفوا كل تعليم ديني حرّ ويبثّوا في كل جهات الدولة روح العلمانية اي نفي الدين والاداب الدينيّة فهكذا يفهم الماسون شعار الديموكراتية: حرّية. مساواة. اخاء. ومنتهى الشناعة ان يُنزع الصغار من حكم والديهم ليحصروهم شاؤوا ام أبوا في مدارسهم اللادينيّة وينفثوا فيهم سمّ الكفر منذ حداثة سنّهم. وقد احصي حديثاً عدد المعلّمين الذين يتولّون التدريس في هذه المدارس العلمانيّة فاذا هو يبلغ ٨٠٫٠٠٠ فاذا تكون حالة الناشئة المتخرّجة على هذه المبادئ بل ماذا تكون حالة الدولة اذا انتشروا فيها؟

﴿كبير علماء الطبيعيّات في اسبانية﴾ توفّي حديثاً في اسبانية الاب اليسوعي يواكيم دي برتولا (J. de Barnola) الذي كان يُعَدّ في بلاده كرئيس العلماء في الطبيعيّات والكيمياء وعلم المعادن والنبات له في كلّ فنّ مصنّفات شاعت في المدارس وفي سائر المعاهد العلميّة وكان يكاتب المجلات العلميّة الكبرى وقد نظمته الجمعيات العلمية في سلك اعضائها الشرفيين

﴿استخراج الزيت من نوى العنب﴾ اخذ بعض الكرّامين يعالجون الحبوب المستخرجة من العنب فاستخرجوا منها كميات وافرة من الزيت الطيّب. وعلى رأي الكيموي الفرنسوي موزو انّ نوى العنب في فرنسة يمكنها ان تغني الدولة بعشرين الف طن من الزيت الجيّد يساوي سعرها مئة مليون من الفرنكات. فهذه صناعة يستطيع ان ينتفع منها اهل لبنان لغنى جبلهم بالكروم

(ولي عهد دولة سكسن اليسوعي) رويت مجلّة الشرق والغرب في عدد اوكتبر الاخير ما حرفهُ:

«خبر في رهبنة ... من اخبار برلين ان البرنس جورج ولي عهد مملكة سكسونيا السابق نبذ في السنة الماضية افراح هذه الدنيا الفانية ويمّمها وانتظم في سلك الكهنوت ليقضي بقيّة حياته في الزهد والصلاة والتقوى وآخر ما سُمع عنهُ انهُ دخل من مدّة قصيرة رهبنة الجزويت (الآباء اليسوعيين) وانهُ سيواصل اتمام علومهِ في كليّة الآباء اليسوعيين في فلدكرخ

أسئلة وأجوبة

س سئلنا ما هي اغنى بلاد العالم بناجم الذهب ؟

اغنى بلاد العالم بناجم الذهب

ج اغناها بلاد الترنسفال فانها في العام الماضي استخرجت من مناجمها ما يساوي اربعين مليوناً و٨٠٠،٠٠٠ جنيه ويأتي بعدها بلاد كندا ومحصول ذهبها ستة ملايين و٥٠٠،٠٠٠ جنيه

س سأل حنا بك انطون افندي ابو حمد من دمشق ١ أطبع كتاب مؤنس الوحيد للثعالبي . ٢ ما هي كتب تراجم الشعراء الاقدمين والمحدثين كيتيمة الدهر للثعالبي ؟

كتاب مؤنس الوحيد للثعالبي — تراجم الشعراء

ج طبع المستشرق غرستاف فلوغل في ڤينة سنة ١٨٢٩ مختصرات من كتاب مؤنس الوحيد مع ترجمته الى الالمانية . اما تراجم الشعراء فقد طبع منها في ليدن ومصر كتاب طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين لابن سلام الجمحي . وفيها طبع كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة وطبعتا مصر مسروقتان لا خير فيها . ومما لم يطبع كتاب دمية القصر للباخرزي وخريدة القصر للعماد الاصفهاني ومسالك الابصار لابن فضل الله والروض النضر في ترجمة شعراء العصر لعصام الدين الموصلي

س وسأل احد عمال الدولة التركية في اسطنبول أورد ذكر للقبعة (البرنيطة) بين ثياب العرب والاتراك ؟

القبعة على رؤوس العرب والاتراك .

ج لا شك ان بعض قبائل الاتراك كانوا يجعلون على رؤوسهم قبعات كقبعات اهل الصين . اما العرب فلا نجد ذكراً للقبعات في آثارهم لكن اهل اليمن منهم في عهدنا يلبسون القبعة

ل . ش